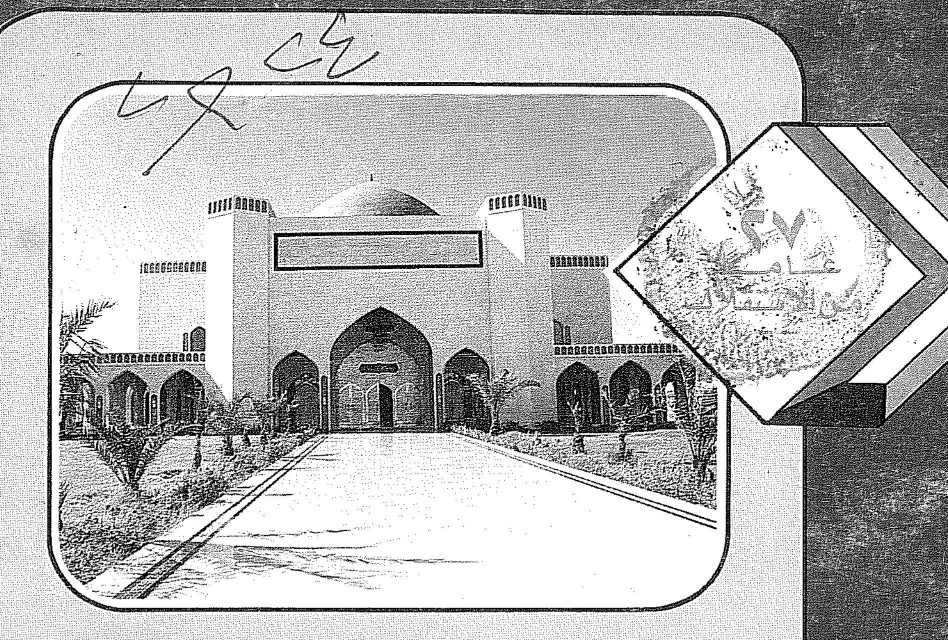
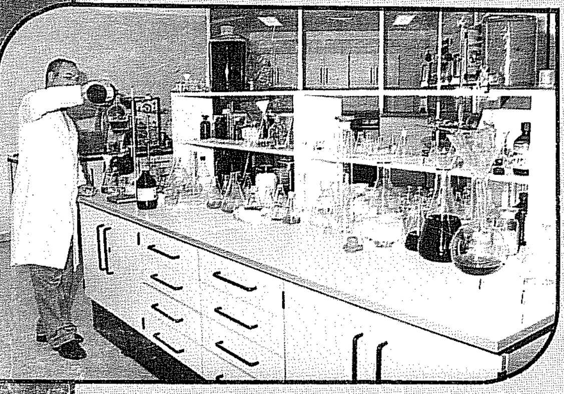
الوعي الإسلامي

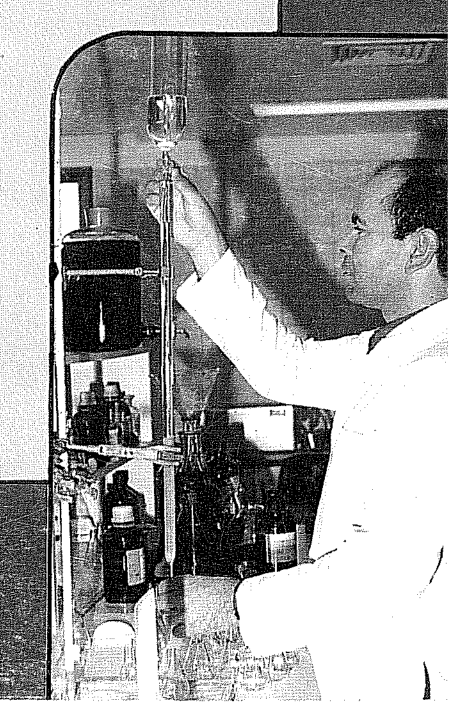
إسلامية ثقافية شهرية

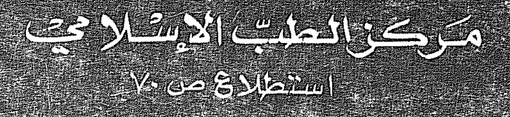
العدد ٢٨٣ ـ رجب ١٤٠٨ هـ / مارس (آذار) ١٩٨٨ م

هديتك مع العدد
مجلة براعم الإيمان



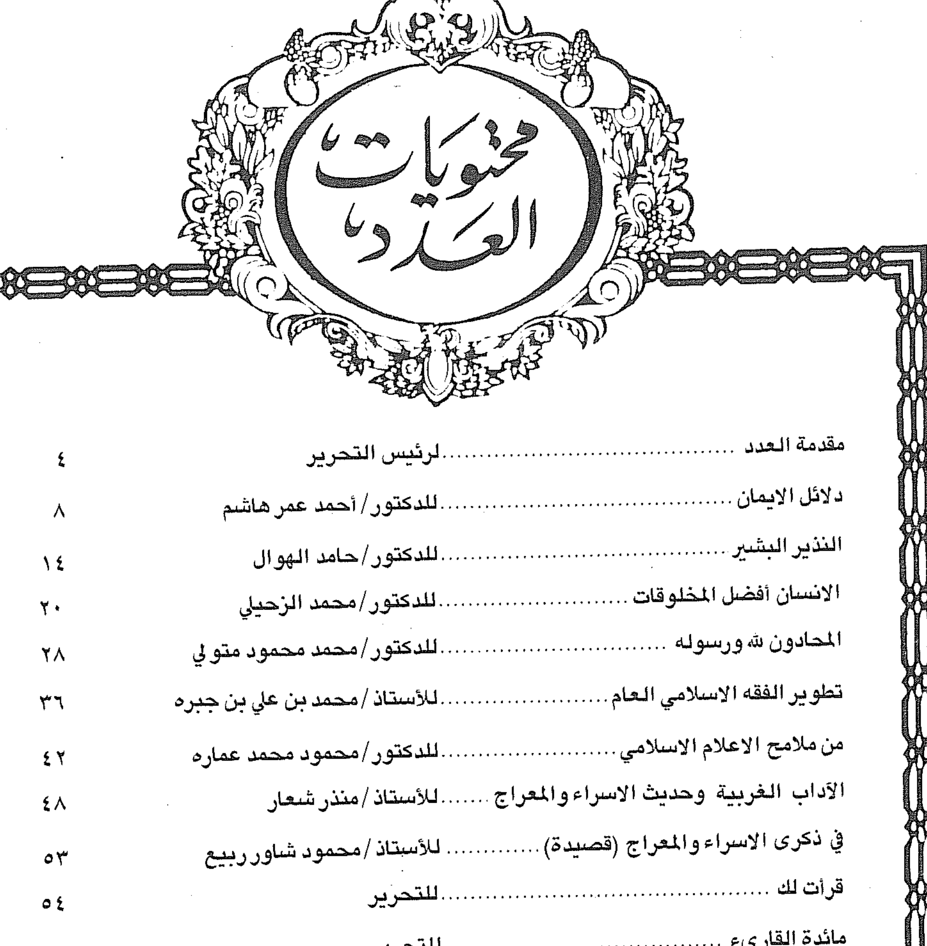


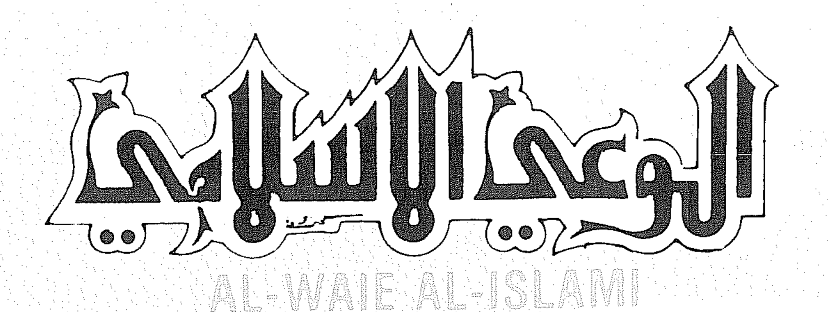




مركز الطب الإسلامي

استطلاع ص ٧٠


محتويات العدد



العدد ٢٨٣ ـ رجب ١٤٠٨ هـ / مارس (آذار) ١٩٨٨ م

تصدرها

وزارة الاوقـاف والشئـون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المـزيد من الـوعي ،

وايقـاظ الـروح ،

بعيدا عن الخـلافـات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

البلد	الثمن	البلد	الثمن
الكويت	٢٠٠ فلسا	تونس	٢٥٠ مليم
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما	الاردن	٢٠٠ فلس
السودان	١٥٠ مليما	اليمن الشمالي	ريالان
السعودية	ريالان	قطر	٣ ريالات
دولة الامارات العربية	٣ دراهم	سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
البحرين	٢٠٠ فلس	المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا



توافينا ذكرى الاسراء كل عام ، فتجدد فينا الأحزان وتعصر منا القلوب وتحرك المشاعر ، من أجل غربة الأقصى واحتلال أولى القبلتين وثالث الحرمين ، وفي هذا العام وفي مطلع الذكرى ، نلمح في الأفق القريب إشراقة التحرر من بين غيوم اليأس ، تبعث الأمل وبشارة النصر المرتقب وكأننا بالأقصى المبارك يتعجل يوم الثأر ممن أحرقوا منبره ، واقتحموا حماه ، وعبروا دروبه ، بنعال نجسة وألسنة شتامة ، ولعل العناية الالهية قد ادخرت ليوم الخلاص ، من يحطم القيود ويحقق الآمال ،كما ادخرت من قبل القائد المؤمن صلاح الدين الذي ابيض بجهاده وجه التاريخ ، وقد سحق الجيوش الصليبية في حرب غير متكافئة في العدد والعتاد ،

ولكنه انتصر بسلاح الحق وعدة الايمان ، بجمع الشمل وتوحيد الصف والزحف تحت مظلة الاسلام ، وأحداث الأمة في ماضيها يجب أن تكون دورسا متاحة لحاضرها المضطرب ، فلا ينبغي أن يغيب الحل الاسلامي عن ساحة الصراع الدامي ، ولا يجوز في دين الله أن يتضاءل الشعور بالمسؤولية نحو الأرض والمقدسات ، أو أن يظل نزيف العدوان بينهم مستمرا في حرب مدمرة ، أشعل نارها عدو يقوم كيانه على رؤية توراتية باطلة ، أساسها العدوان والعنف ، بمساندة الشرق الملحد والغرب الصليبي الكافر ، على الحكومات والشعوب ان أرادوا نصرا لا تكدره نكسات ، وعزا لا مهانة بعده ، أن يسيروا على نهج المؤمنين الأولين الذين ارتفعوا بايمانهم فوق دوافع الخوف من الناس مهما جمعوا لهم ،

فاستحقوا ثناء الله عليهم بقوله سبحانه : (**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم**) آل عمران من ١٧٢ ـ ١٧٤ . وهكذا من كان مع الله فهو في حمايته يؤيده بنصره ولو اجتمعت الدنيا على حربه ، فلا مجال لخوف العرب والمسلمين من قوة المعسكر الشرقي ، ولا من تفوق المعسكر

الغربي ، ولا يأس ولا إحباط من طول محنة الاحتلال ، فإنها لا تساوي شيئا في تاريخ هذه الأمة إذا ما قيست بالمحنة التي استمرت مائتي عام في عهد الاحتلال الصليبي ، أو قورنت بالاعصار المغولي الذي استهدف كيان الأمة وعقيدتها ، ثم سقط هذا وذاك عند حصن الاسلام ووحدة المسلمين ، وولى الغاصب خائبا ذليلا وبقى الاسلام عزيزا كريما .. وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ـ لا يأس من نصر الله لنا على اليهود ـ

أعداء الله والانسانية ـ ما دام الحق سبحانه قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة ، وانهما لا ترتفعان عنهم الا بحبل من الله وحبل من الناس ، لاترتفع الذلة ولا المسكنة إلا قليلا من الزمن ثم تعودان اليهم ويبعثن الله

عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، ويرى المفسرون« أنهم يذلون في كل عصر ولا يعصمهم إلا الدخول في ذمة الله وذمة المسلمين » ـ وما دام طبعهم نقض العهود

والتمرد على منهج السماء ، وتوارث الخيانة والغدر ، فلن تبقى لهم قوة ولن يدوم لهم كيان ، إذا ما واجهوا رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وهم يتدافعون ركضا إلى الله بائعين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، إن يقظة الحس العربي وحركة البعث الاسلامي لهما أثر لا ينكر ، في قوة الصراع الدائر في أرض الله المقدسة ، ولعل الأحداث الجارية تكون بداية لتنفيذ سنة الله وتحقق مشيئته ، في قوم كتب الله عليهم اللعنة الأبدية ،

ومما لا شك فيه أن الصراع يحسم لصالحنا ، إن صحت النوايا وصدقت العزائم وتوحدت الكلمة وهانت التضحيات ، في جو الايمان بالله والاعتصام بحبله ؛ يومئذ لا نرهب البشر ما دمنا مع خالق القوى والقدر ،

فاليهود وأسياد اليهود ليسوا من الشجاعة وقوة البأس ما يجعلهم مصدر إزعاج وخوف كما يدعون زورا « ان اسرائيل لا تقهر » هذه الاسطورة الخادعة كشفتها حركة إيمانية في مواجهة لم يطل مداها في حرب

رمضان ، انهار فيها خط الدفاع في لحظات وولت فلولهم مذعورة في الصحراء ، وأحست الأمة بكرامتها وقدرتها على سحق العدوان . ان أخذت بأسباب النصر كما هو وعد الله (**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا**

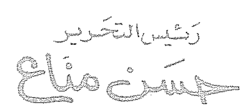
الله ينصركم ويثبت أقدامكم) سورة محمد الآية/٧ - وفي أيامنا هذه يشهد العالم عجز الحديد والنار أمام انتفاضة بطولية لا تملك من الوسائل المادية وأسلحة المقاومة غير الصخر والحجر ! وقف العالم مبهورا وهو

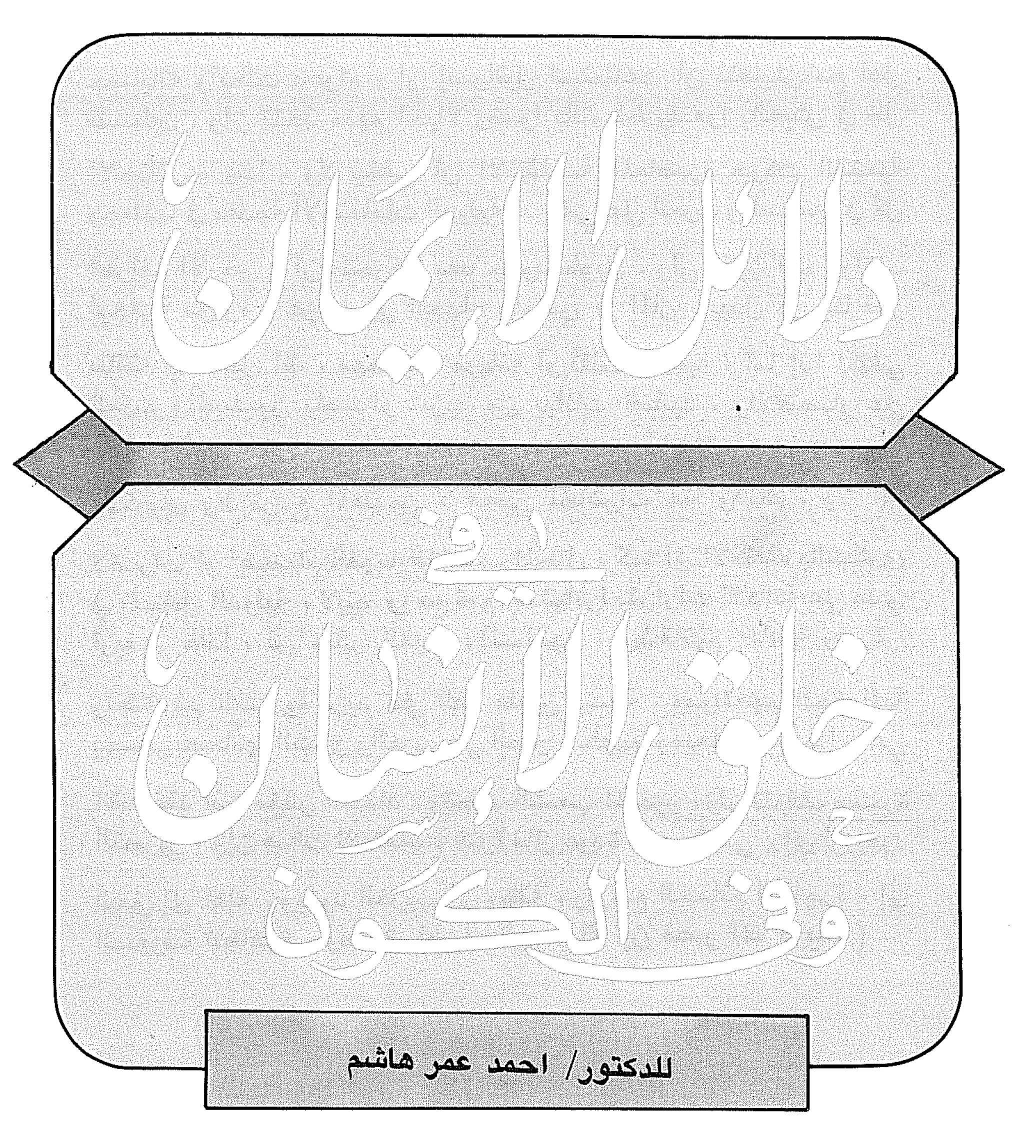
يرى براعم الانتفاضة تنبت من أرض الألم والمعاناة ، وهو يرى بطولات تؤكد ان فلسطين حل لأهلها حرام على كل غاصب محتل ، ما دامت جبالها تنبت أحجارا وأرحام أهلها تلد أطفالا ينامون على حكايات المأساة ،

ويقطع نومهم هجوم غادر وبغي فاجر ، يخلف الدماء والأشلاء ، ويفرض على من بقى من الأحياء حصار الجوع والمرض ، من غير رحمة ودون مبالاة ، ويفاجأ عدو الله والانسانية بانتفاضة صامدة تحدد أسلوب

التفاوض مع العدو المغرور ، أسلوب الكفاح ولو بالحجر . انتفاضة مباركة قام بها الشعب المقهور ، يواجه في قوة أحدث الأسلحة بصدور عارية وهامات عالية من أجل تحرير المقدسات ، وتطهير التراب من رجس الاحتلال ، الأمر الذي جعل العدو يعترف بضراوة المقاومة التي قلبت

حساباته وأبطلت دعواه « ان إسرائيل استطاعت أن تتعايش مع أهل فلسطين ، وأن تتخذ منهم أجيالا رضوا بالتسلط وقنعوا بالعيش في ظل الاحتلال » هذا ، ولا يخفى أن الانتفاضة المعاصرة حركت القضية وجعلتها في مقدمة الاهتمامات الدولية ... بقي على العرب والمسلمين في كل أطراف الأرض ، أن يتحركوا بعد جمود طويل ، وأن تكون لهم مواقف إيجابية مؤثرة ، عن طريق الجهاد بالنفس أو المال ، يبذل كل منا قدر طاقته في سبيل الله ، مهما بعد موطنه أو ثقلت مطالبه ، أما إذا اكتفى العرب والمسلمون باصدار المزيد من بيانات التأييد ، والاقتصار على الدعم الكلامي أو إعلان الشجب والاستنكار ، فهذه مواقف سلبية لا تفيد المنكوبين ولا تردع المعتدين لا معنى لظاهرات هنا وهناك ، ولا أثر لاضراب أو اعتصام ألفهما الغاصب المحتل ، كما أن الاكتفاء بالشكوى في المحافل الدولية ، لايجدي مع قوم استهانوا بقرارات الادانة على مدى أربعين عاما ، لن يعذر العرب والمسلمون ، وطاقاتهم المادية وفيرة ، وأعدادهم البشرية تزيد على ألف مليون نسمة ، ومواقعهم الجغرافية يحسب حسابها الشرق والغرب على السواء عليهم جميعا أن يجيبوا داعي الله ، فقد أذّن مؤذن الجهاد ، وتحرك الشعب المقهور ، ولن تتوقف مسيرة التحرير ، وإن هدأت الانتفاضة فترة فالى عودة أشد وأقسى ، إلى أن يعود الحق إلى أهله ، ويعود الغريب إلى وطنه ، وترجع الحمائم المهاجرة ، إلى السقوف الطاهرة ، وصدق الله العظيم (**ألا إن نصر الله قريب**) .





للدكتور/ احمد عمر هاشم

لم يكن للالحاد وتياراته من أثر . على القلوب المؤمنة الصادقة التي عرفت ربها من خلقها ومن خلق الكون فانه لا يدبر إلا الله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ومن استنار قلبه وفكره لا يحتاج إلى دليل إلا أن هناك تيارات منحرفة ، مضللة . أخذت أشكالا متعددة وطفت على سطح الحياة الانسانية متمثلة في ظواهر مختلفة منها : المادية الملحدة والحركات الهدامة ، والوجودية المتبجحة الضالة ، مما يبثه أعداء الاسلام .

والاسلام بكتابه الخالد ودستوره المبين . يرد على المنكرين مسفها

احلامهم رافعا راية الحق : « **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** » وقد روى عن جبير بن مطعم قال : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب « الطور » فلما بلغ هذه الآية (**أم خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون * أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون** »

كاد قلبي ان يطير الى الاسلام ..

وكتاب الله تعالى منذ القدم وعلى مر أدوار الحياة يتحدى كل افاك أثيم ، وكل جاحد ومعاند « **هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه** » (سورة لقمان - الاية ١١) وفي آية اخرى يكشف عن جهلهم الفاضح وانحرافهم الذي بلغ درجة السفه والتخريف . بحيث يدعون غير الله من اصنامهم فيقول سبحانه وتعالى « **ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** » (سورة الحج - آية ٧٣)

● ادلة الايمان في النفس ●

ويوضح الله آياته في انفسهم فيقول « **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** » (سورة الذاريات - آية ٢١) ويوضحها في الكون .

« **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** » (سورة فصلت - آية ٥٣)

ويوضح الله تعالى أدلة الايمان من أقرب طريق وذلك من خلق الانسان واطوار حياته التي مر بها من أول مرحلة منذ أن خلق من نطفة إلى أن صار علقة فمضغة الى آخر تلك الاطوار .

قال سبحانه وتعالى « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** » (سورة المؤمنون - آية ١٢/١٦)

تلك هي الاطوار التي يتقلب فيها الانسان بقدرة الخالق الواحد الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير .

الطور الأول : ذكره في قوله تعالى « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين** » والسلالة هي الخلاصة التي تسل من بين الكدر . وقال ابن عباس وعكرمة المراد منه آدم عليه السلام فهو الذي سل من طين وأما ذريته فمن ماء مهين .

والطور الثاني : ذكره في قوله : « **ثم جعلناه نطفة في قرار مكين** » أي إنه سبحانه وتعالى بعد أن خلق أولا جوهر الانسان من طين أو الجنس الانساني وهو المتمثل في آدم عليه السلام جعل تكرار افراده عن طريق نطفة في قرار

مكين . انها نطفة واحدة تخرج من صلب الرجل تستقر في رحم المرأة بل انها خلية واحدة من عشرات الالوف من الخلايا الموجودة في تلك النطفة فانظر إلى مدى قدرة الله تعالى، ومن رحمته سبحانه أن جعلها ثابتة في الرحم بين عظام الحوض لتحفظ من التأثرات والتحركات، فالمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقر .

الطور الثالث : في قوله تعالى : « **ثم خلقنا النطفة علقة** » وذلك عندما تمتزج خلية الذكر ببويضة الانثى وتعلق هذه بجدار الرحم نقطة صغيرة في أول الامر ويكون غذاؤها عن طريق دم الأم، وانها لقدرة عظيمة تلك التي حولت النطفة البيضاء الى علقة حمراء ومن صفاتها الاولى إلى صفات العلقة وهي الدم الجامد .

الطور الرابع : في قوله تعالى « **فخلقنا العلقة مضغة** » اي جعلها قطعة لحم بمقدار ما يمضغ وسمى التحويل خلقا . لانه يفني اعراضا ويخلق اعراضا اخرى .

الطور الخامس : في قوله « **فخلقنا المضغة عظاما** » أي صيرناها عظاما وشكلها سبحانه فكانت ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها .

الطور السادس : في قوله « **فكسونا العظام لحما** » فيكون اللحم كالكسوة للعظم ، وهنا يثبت القرآن الكريم حقيقة علمية رائعة سبق بها العلم الحديث الذي لم يعرفها الا بعد تقدم علم الاجنة وهي ان خلايا العظام غير خلايا اللحم وأنها تتكون أولا فإذا تمت كانت خلايا اللحم التي تكسوها بعد ذلك .

الطور السابع : في قوله « **ثم أنشأناه خلقا آخر** » اي خلقا مختلفا عن الأطوار الأولى حيث انتقل من الجمادية الى الحيوانية وكان أبكم فصار ناطقا ومنحه السمع والبصر وغير ذلك من الخلقة الالهية العظيمة التي تتمثل في صورة البدن والروح والقوى بنفخه فيه «**فتبارك الله** » اي تعالى شأنه في قدرته وحكمته « **احسن الخالقين** » المقدرين تقديرا .

الطور الثامن : في قوله تعالى : « **ثم إنكم بعد ذلك لميتون** » أي صائرون إلى الفناء والموت وليس هذا نهاية الأطوار كما يظن البعض وإنما هو نهاية الحياة الدنيا وطور من اطوار النشأة الاخيرة .

الطور التاسع : في قوله « **ثم انكم يوم القيامة تبعثون** » وهنا نشاهد أن الله تعالى جعل الموت الذي هو نهاية الحياة الدنيا ، وجعل البعث الذي هو إعادة ما أنهاه وأفناه جعل هذين دليلين ايضا على عظيم قدرته وهو سبحانه وتعالى بهذه الادلة التي سقتها قد اعطى الانسان دليلا قويا ومحسوسا حتى يؤمن عن اقتناع كامل ويقين راسخ وان تلك الادلة انما جاءت من اقرب طريق من اطوار خلق الانسان وتقلبه بين الحياتين الدنيا والاخرة وعن خلق ادم من الطين .

روى الامام احمد بسنده عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنوآدم على قدر الارض ، جاء منهم الاحمر والابيض ، والاسود وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك . رواه ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح وعن معنى قوله « **ثم انشأناه خلقا آخر** » .. يقول ابن كثير يعني نفخنا فيه الروح .. وقال العوفي عن ابن عباس « **ثم انشأناه خلقا آخر** » يعني ننقله من حال الى حال الى ان خرج طفلا ثم نشأ صغيرا ثم احتلم ثم صار شابا ثم كهلا ثم شيخا ثم هرما ، وقد روى احمد في مسنده عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق (أن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما) وفي بعض الروايات ، نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات رزقه وأجله وعمله وهل هو شقي ار سعيد فوالذي لا إله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع . فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها،وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل الجنة فيدخلها .

وروى الامام احمد عن عبدالله قال : مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه . فقالت قريش : يايهودي إن هذا يزعم أنه نبي فقال لأسألنه عن شيء لا يعلمه الا نبي قال فجاءه حتى جلس فقال : يا محمد مم يخلق الانسان ؟ فقال يايهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فاما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب واما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم فقال هكذا كان يقول من قبلك ..

● أدلة الايمان في الكون ●

وبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى أدلة الايمان في النفس عن طريق خلق الانسان والأطوار التي مر بها ذكر أدلة الايمان في الكون فقال : « **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين * وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون * فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين * وان لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون * وعليها وعلى الفلك تحملون** »(سورة المؤمنون ـ آية ١٧/٢٢) .

لقد خلق الله سبع سموات وسميت طرائق لتطارقها فبعضها فوق بعض أو لانها طرائق للملائكة في العروج والهبوط والطيران أو لأنها طرائق الكواكب . فيها مسيرها ،

وفي هذه الآية : « **ولقد خلقنا فوقكم**

سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين » دليل كوني على أن خالق السماوات وجميع المخلوقات لا يهملها وإنما يحفظها من الزوال ومن الاختلال ، ويدبر امرها حتى تصل الى ما قدره الله تعالى لها وانه سبحانه وتعالى يعلم اعمال العباد واقوالهم . وما تكنه صدورهم ، وهذا يفيد الزجر عن مخالفته ، وفي الآية الكريمة دلالة واضحة على كمال قدرة الله وعلمه وأن فيها دليلا على وجود الله تعالى لأن خلق السماوات على هذه الصورة البديعة وما يعتريها من احوال كل ذلك يدل على وجود الخالق المدبر لها ، والصانع القادر العظيم وهو اللـه سبحانه وتعالى وإذا كان الدليل الكوني الأول على الايمان هو خلق السماوات . فإن الدليل الثاني هو : خلق الماء وانزاله من السماء والنعم التي نحصل عليها عن طريقه ، قال تعالى : « **وانزلنا من السماء ماء بقدر** » . فقد انزله سبحانه من السماء بتقدير يتناسب مع حاجة الحياة والاحياء . وبحيث يكون نفعه كثيرا وجعله سبحانه وتعالى ثابتا مستقرا في الأرض وهو القادر أن يذهبه إن شاء بازالته أو تصعيده أو تعميقه بحيث يتعذر استخراجه فيمكن ان يجعل الماء يغور في الارض عن طريق شقوق في طبقات الصخور او غير ذلك من الوجوه . فان القادر على إمساكه قادر على ازالته وتبديده .

ومن هنا يتضح فضل اللله على العباد ، كما ان في انزال الماء بقدر وبحسب الحاجة حكما عالية دقيقة فلم يسقه كثيرا غامرا يفسد العمران ، ولا قليلا لا يكفى الحاجة بل على حسب الحاجة إليه بل أن الأرض التي تحتاج إلى ماء كثير للزرع ولا تحتمل بلادها انزال المطر الكثير عليها مخافة ان يفسد ما عليها من الديار والزروع كان من لطف الله تعالى وحكمته ورحمته انه يسوق اليها الماء عن طريق بلاد اخرى . كما في ارض مصر . فانه يسوق إليها ماء النيل ومعه الطين الاحمر من بلاد الحبشة في اوقات المطر بها فيسقى الارض ويقر الطين على الارض ليزرع اهل مصر فيه لان الارض هناك سياح يغلب عليها الرمال .

ثم ذكر سبحانه بعد نعمة الماء . ما يترتب عليه من النعم الاخرى التي تحصل عن طريقه فقال « **فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين** » وانما ذكر النخيل والاعناب لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام ومقام الادام ومقام الفواكه كما اشار الى غيرهما من الفواكة الكثيرة مما يعجز الناس عن القيام بشكر الله تعالى فيه : كما انشأ ايضا شجرة هي شجرة الزيتونة . تخرج من طور سيناء والطور الجبل وهو الذي كلم الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وهو بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وفي قوله « **تنبت بالدهن** » إنها متلبسة به ومتصحبة له ، وصبغ للآكلين أي أدم ، ففيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ .

وأما الدليل **الثالث** من الادلة الكونية

على الايمان فهو ما ذكره في قوله تعالى « **وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون * وعليها وعلي الفلك تحملون** » وهنا نشاهد انه بعد ان ابرز دليل التوحيد . عن طريق الانسان وأطوار خلقتـه انتقل من جانب النفس الانسانية الى جانب الآدلة الكونية . فأوضح خلق السماوات وانزال الماء وأحياء النبات في الأرض ثم انتقل من ذلك إلى عالم الحيوان فذكر على طريق الاجمال ما في الانعام من عبرة يمكن للعاقل ان يعتبر بها ويستدل عن طريقها على وجود الله تعالى وقدرته ووحدانيته . ثم اخذ في تفصيل تلك العبرة فبينها في الوجوه التالية :

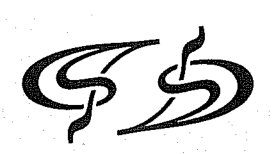
أولا : نسقيكم مما في بطونها من الألبان وإذا تمعن الانسان في كيفية خلق اللبن شاهد أدلة القدرة الالهية عن كثب ، فهذا اللبن يجتمع في الضرع ويتخلص من بين فرث ودم ويستحيل الى طهارة ولون وطعم ، غذاء نافعا مفيدا ، ومن عظيم قدرة الله وحكمته ان الانعام اذا ذبحت لا تجد له اثرا .

ثانيا « **ولكم فيها منافع كثيرة** » في ظهورها وأصوافها وأوبارها واشعارها أو في بيعها . للانتفاع باثمانها وما شاكل ذلك .

ثالثا : « **ومنها تأكلون** » وفي هذا الوجه انتفاع باعيانها فكما ينتفع بها وهي حية بما سبق ينتفع ايضا بها بعد ذبحها بالأكل ..

رابعا « **وعليها وعلى الفلك تحملون** » وذلك لان الانتفاع بالابل في الحمل والركوب على البر مثل الانتفاع بالفلك في البحر أو ما هو بمنزلته قال سبحانه « **وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الابشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم** » سورة النحل آية ٧

تلك هي دلائل القدرة الالهية في النفس وفي الكون وفي الانسان وفي الحيوان وفي الماء والنبات وغير ذلك من المخلوقات افبعد كل هذا يستسيغ منكر أوجاحد ان يقف في وجه الحق ؟ او يثير شبها حول هذا الدين القيم ؟ « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** » (آل عمران ـ آية ٨٥)



« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوارة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » ٢٩ ـ سورة الفتح .



للدكتور/ حامد الهوال

محمد رسول الله

هذا هو التحديد الالهي لمهمة النبي صلى الله عليه وسلم وهو محور سيرته في القرآن الكريم .

بدأت به الآية ، وكأنها أرادت بمناسبة الحديث عن فتح مكة أن تبرز الصفة الأساسية للنبي لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتي كانت وراء انتصاره ، ولازمته منذ جاء إلى قومه يدعوهم إلى الاسلام قائلا لهم « إني رسول الله »

وقد جمعت الآية مع النبي صحابته الذين آمنوا به وسلكوا معه نفس الطريق ، في إطار من الصفات يجسم علاقتهم مع الاصدقاء والأعداء في عرض أدبي رائع .

وإذا كان اهتمام الآية كماهو واضح منصبا على إبراز صورة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في وضع مميز أهلهم للنصر وحمل الرسالة ـ فإنها قد تضمنت إشارة رامزة تلفت الأذهان إلى تاريخ السيرة النبوية الشريفة ، الذي يضرب إلى عهدين من عهود الانسانية سابقين على عهد الرسول صلى الله عليه

وسلم ، تركا آثارهما أكثر من غيرهما من العهود على حياة العرب في المنطقة وهما العهد اليهودي والعهد المسيحي اللذان لم يكونا غريبين على الناس ،

وكانت بعض افكارهما معروفة لديهم ، وسيكون لبقاياهما من الأتباع الذين يعيشون في الجزيرة العربية وما حولها ، تاريخ طويل ومؤثر في حياة النبي وأصحابه ، وفي حياة المسلمين فيما بعد .

وقد أكدت الآية على نقاط مترابطة تشمل مساحة كبيرة من حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

١ ـ فهو رسول الله .

٢ ـ يجمل ذلك ويثبته ويؤكده ويدعمه القرآن الكريم ومن قبله التوراة والانجيل .

فسيرة الرسول هنا ممتدة الى عمق التاريخ المعروف للعرب .

٣ ـ وهو وأصحابه يتميزون بالرحمة فيما بينهم والشدة على الكفار أعدائهم واعداء دينهم مما يضمن لهم النصر وانتشار دينهم وهم يتسمون بسمات

المتدينين الصالحين .. وقد غرس فيهم النبي افكاره وتعاليمه المستوحاة من دينه الكريم فنمت وازدهرت وآتت ثمارها ناضجة تثير العجب من حولها ... كما تثير الغيظ عند الأعداء الحاقدين .

٤ ـ وقد نصرهم الله بإيمانهم وعملهم الصالح ، وبذلك حقق لهم وعده .

وتبدأ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن بأول اتصال إلهي به ، أي عند نزول أول آية في كتاب الله ، والتي يخاطب فيها محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله (**اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم** » العلق/ ١ ـ٥ .

وكان ذلك تمهيدا لاعلامه بالرسالة .

فالأمر بالقراءة باسم الله الخالق للانسان والمعلم له ، يعني التنبيه إلى ما يعد في هذا السبيل ، والذي يقتضى بعض المقدمات التي تخفف من المفاجأة كما أن المهمة التي ستلقى إليه تعتمد على التلاوة والقراءة .

وبناؤها العلم ، فهي مهمة مميزة، وتثير التأمل والتفكير بدرجة كبيرة .

الاشارة الى مرحلة سابقة قبل البعثة :

على اننا نجد بعض الاشارات التي تسبق هذا التاريخ . كما ذكرنا عند الحديث عن صفات الرسول واصحابه . وورود امثلة لها في التوراة والانجيل وتضيف هنا ما بشر به عيسى قومه عن رسول يأتي بعده معينا لهم اسمه (**وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**) ٦ ـ ٧ الصف .

كما تضمنت سورة الضحى شيئا يسيرا من حياة الرسول قبل البعثة . في قوله تعالى

(ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ضالا فهدى * ووجدك عائلا فأغنى) .. الآيات ٦ ـ ٨ .

وقد جاءت هذه الاشارة السريعة إلى الماضي مع أمور تتعلق بالحاضر والمستقبل معا ، في قوله تعالى :

(والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى * وللآخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى) ١ـ ٥ من سورة الضحى

وهذا الترابط بين الأزمنة الثلاثة حزم التوجيهات التي ألقيت إلى النبي بعد ذلك وكأن فيها شيئا من آثار هذه

الأزمنة **(فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر * وأما بنعمة ربك فحدث)** ٩ ـ ١١ من سورة الضحى .

وأحب أن ألاحظ هنا أن مثل هذه التوجيهات يمكن ترجمتها إلى سلوك انساني ثابت لدي النبي الكريم ،

شأنها شأن كل ما يستفاد من التوجيهات التي تلقى إليه في القرآن ،

فهي تصبح لونا من ألوان الوصف والتعريف بشخصه خاصة اننا على يقين من أن النبي ينفذ هذه التوجيهات ولا يحيد عنها .

بدء الرسالة :

يتحدد بدء الرسالة إذا من لحظة الأمر بالاستعداد لها ، والتهيؤ

لمواجهة أعبائها ، والتعامل مع الملابسات التي تظهر في طريقها .

وهي اللحظة التي تحقق فيها الاختيار ، وظهر الى الوجود ويحددها

الأمر بالقراءة على النحو الذي تقدم ذكره .

ويلزم لهذه المرحلة الأولى من مراحل الرسالة أمر مهم في الاعداد ،

ربما ليس غريبا على الرسول ولا جديدا عليه ، ولابد انه لاحظه في

تأملاته قبل البعثة ، وسيلاحظه أكثر بعدها ، ولكنه كان محتاجا إلى استحضاره في ظروف الاختيار .

هذا الأمر هو تعريف النبي بطغيان الاغنياء الذي كان سائدا في الجزيرة العربية ، والذي هو طابع الانسان

الذي له صفة العموم ، وإن لم يكن لازما عند الجميع . وذلك رغم طبيعة خلقه من علق ، والتي تشير الى الدقة

وإلى ضرورة التواضع في نفس الوقت ، ورغم النهاية التي ينتهي

إليها هذا الخلق برجوع الكل إلى الله الذي أوجدهم من العدم .

رغم كل ذلك فإن الانسان بطغيانه هذا سيقاوم تبليغ الرسالة إلى الناس وسيعارض إقامة أركانها وشرائعها .

(كلا إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى * إن إلى ربك الرجعى * أرأيت الذي ينهى * عبدا إذا صلى * أرأيت إن كان على الهدى * أو أمر بالتقوى * أرأيت إن كذب وتولى * ألم يعلم بأن الله يرى) ٦ ـ ١٤ من سورة العلق

وسواء كان هذا الانسان معينا مقصودا ـ هو أبو جهل ـ كما يذهب المفسرون . او كان مطلق الانسان دون تحديد . فإن الامر يتعلق بالاستعداد لما سيأتي . ولما يحدث مع الناس من صراعات .

ولكي يطمئن الرسول على ان الطريق أمامه ـ وإن كان محفوفا بالمخاطر ـ مفعم بالأمل في النصر ، كان لابد من بيان النتيجة بوضوح . **كلا لئن لم ينته** (هذا الانسان) **لنسفعا بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة * فليدع ناديه سندع الزبانية)** ١٥ ـ ١٨ من سورة العلق .

المرحلة الثانية في تلقي الرسالة كانت في إحدى الليالي التي كان فيها النبي متزملا ثيابه بين النوم واليقظة فلعله فيها كان يستعد للنوم . أو يخلو إلى نفسه في لحظة يكون وحيدا حتى ولو أن زوجته كانت بجانبه فيخاطبه الله بقوله .

« **يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا * إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا** » ١ ـ ٦ المزمل .

وهي تعنى ان حياة الرسول بعد البعثة لم تعد حياة عادية روتينية . بل إن ليله سيكون قياما وترتيلا للقرآن الذي بدأ يوحى إليه .

وفي هذه الحياة الحافلة ـ يتلقى النبي أمور دينه ، وهي ليست سهلة يسيرة ، إن الأمر صعب ثقيل سواء في آيات الدين ونظرياته ، أو مهامه وأركانه .

وتأتي المرحلة الثالثة مرحلة الابلاغ المباشر ، والانتقال من تهيئة النفس ، وملاءمتها للدعوة الجديدة إلى مخاطبة الناس ، ونقل نفس الأحاسيس والأفكار والأعمال إليهم ويأتي الخطاب بها في قوله تعالى .. **(يا أيها المدثر * قم فأنذر)** ١ ـ ٢ المدثر

والرثاء نوع من الغطاء وتركه يوحي بالانتشار والصحوة . فقد أدت التأملات دورها وتهيأت النفس بالقيام والقراءة وممارسة بعض ألوان العبادة لمرحلة ربط النظرية بالتطبيق .

ومفهوم الدعوة بالممارسة

ولا أدري هل يحق لنا أن نستلهم شيئا من الخروج إلى العمل الفردي والجماعي من تحت الغطاء في قوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ... ويا أيها المدثر قم فأنذر ...

وهو ما فسرته الآيات بعد ذلك بالخروج من الظلمات إلى النور . أم نكتفي بأن نأخذ منها صورة حقيقية للحظات من تاريخ السيرة النبوية في مراحلها الأولى .

وفي الحالتين فإن النبي أحوج ما يكون إلى الصبر (**وأصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا**) . ١٠ / المزمل . « **ولربك فاصبر** » ٧ ـ المدثر

لغة الدعوة

من الملاحظ أن الدعوة في صورتها المباشرة إلى الناس بدأت بالانذار ،

وهو التحذير من التكذيب والتحذير من غضب الله . وهي تناسب جو المعارضة والانكار الذي جوبهت به الدعوة منذ ظهورها ... وتناسب كذلك طابع الحياة السائد في هذا العصر حيث يغلب الضلال على الناس ،

ويتبع معظمهم هواه . وتنتشر المفاسد الاجتماعية والمنكرات . فهناك استغراق في الخطيئة ، وكبرياء وظلم وانحراف ، وصور جاهلة للعبادة .

لذلك كان ظهور النبي في حياتهم نعمة ومنة ، لأنه بدأ معهم عهدا جديدا من العلم والتطهير والحكمة .

(**لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين**) ١٦٤ آل عمران .

والنبي صلى الله عليه وسلم يركز بأمر ربه على الانذار كمهمة أولى من مهامه . (**قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين**) ٤٩ الحج .

والابانة في الانذار قد تعنى انه يوضح لهم ماهم بصدد التحذير منه ، أو تبين لهم المقصود من هذا الانذار .

وإذا كان الرسول في بعض المواقف اقتصر على ذكر الانذار فإن التبشير للمؤمنين بأخذ الجانب الثاني من جانب الدعوة .

(**ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير**) ٢ هود وعندما يكون الخطاب للناس عامة فقد يناسبهم الانذار مع الاشارة إلى ما يعطي الأمل في التبشير ـ كقوله بعد آية الحج السابقة (**فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم** » . « **والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم**) .. ٥٠/٥١ الحج .

وحين يكون الحديث متعلقا بموقف معارض او ساخر أو غير متعاطف من الكافرين مع الرسول يكون التأكيد

مرة اخرى على الانذار (**أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذر مبين**).. ١٨٤ / الاعراف

وليس التبشير والانذار من الرسول موجها إلى العرب فقط ، ولكنه وجه ايضا إلى أهل الكتاب من اليهود

والنصارى . (**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير**) ١٩ المائدة .

وهو يتلاقى عندهم مع ما يعرفونه من طابع الرسالات ومهمة الرسل عموما ... وهو ما أكده لهم القرآن بقوله (**وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) ٤٨ الأنعام .

ويدخل التبشير والانذار وهو طابع الدعوة واسلوبها ضمن صفات جامعة شكل فيها الله شخصية الرسول في قوله (**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا**) ٤٥ ـ ٤٦ الاحزاب .

وفي موقف آخر يرتب على هذا التحديد والتوصيف وصايا للمسلمين الذين استفادوا من التبشير والانذار .

(**إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا**) ٨ ـ ٩ الفتح .

الابلاغ

والانذار والتبشير هما فحوى الابلاغ ومحتواه ، إذا نظرنا إلى أن مهمة الرسول في جوهرها تعنى إبلاغ الناس بما أمر الله به . إبلاغهم بأنه أرسل إليهم وأنه يحمل رسالة الله في إجمالها وفي تفاصيلها ..وانه بمقتضى كونه رسولا فإن كل ما يعظهم به يدخل في مفهوم الرسالة ومحتواها .. (**وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى**)٣ ـ ٤ النجم .

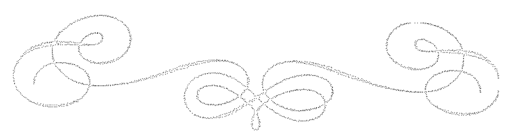
فالرسالة تستلزم التبليغ

(**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**) ٦٧ ـ المائدة .

فالتبليغ هنا بالامر ثم بالتأكيد ، ولعل التأكيد ضروري لمواجهة المعارضات القائمة في المجتمع والتي تنعكس بدرجة واضحة وخطيرة على الناس الذين يتمسكون بعاداتهم وأسلوب حياتهم ومكاسبهم ولذلك كان التركيز عليهم ، بالتهوين من أمرهم وما يمكن أن يصلوا إليه في هذه المعارضات .

فكان النبي يقابل محاولاتهم التشويش على الدعوة او التعجيز الذي يقصدون منه إظهار ضعف النبي أمامهم وأمام مطالبهم . « كان في أغلب الأحيان يرد بأنه مبلغ فقط ... وأن مهمته تنحصر في ذلك ، فكان ينفذ بهذا المنهج التوجيه الالهي المحدد (**إن عليك إلا البلاغ**) الشورى ـ ٤٨

(**فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين**) النحل ـ ٨٢ .



الله سبحانه وتعالى هو الخالق ، خلق السموات والأرض وما فيهما ، وأبدع في خلقه ، وأحسن في كونه ، وإن مخلوقات الله تعالى لا يحصيها العدّ ، ويأتي في قمة هذه المخلوقات الإنسان ، الذي فضله الله تعالى على سائر خلقه ، وكرّمه غاية التكريم ، وخلقه في أحسن تقويم ، وجعله خليفة له في أرضه ، وأكرمه ، بالنبوات والرسالات السماوية ، وأنزل عليه الكتب الإلهية ، وخلق في تركيبه كل عناصر الكائنات الأخرى .

وصرح القرآن الكريم بهذا التفضيل والتكريم للإنسان ، فقال تبارك وتعالى « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » سورة الإسراء . آية/٧٠ .



للدكتور /

محمد الزحيلي

وإن **أوجه التكريم للانسان** ، وميزات التفضيل له علي غيره كثيرة ، نذكر جانبا منها على ضوء هذه الآية التي صرحت بلفظ « **كَرّمنا** » وهو تضعيف « **كرم** » أي جعلنا له كرما ، أي شرفا وفضلا ،« وهذا هو كرم نفي النقصان ، **لا كرم المال** »

فمن أوجه التكريم والتفضيل أن الله تعالى جهز **الانسان بصفات متنوعة ، ووضع فيه من كل جنس قدرا معينا يشاركه فيها ، وجعل من**

مجموع هذه الصفات مركبا نادرا لا مثيل له ، ولا يستطيع جنس آخر أن يتباهى به على الانسان ، وركبه من ثلاثة عناصر أساسية ، وهي :

١ ـ **العقل** : الذي يمثل التسامي والتفكير ، والوعي والإدراك ، والاختيار والحرية في الأمور .

٢ ـ **الروح** : التي وهبها الله تعالى للانسان « **ونفخت فيه من روحي** » سورة (ص) آية ٧٢ ، « **ثم سواه ونفخ فيه من روحه** » سورة السجدة ، آية ٩ ، ليتدرج الإنسان في مراقي الكمال والرفعة ، ويتعلق أمله بالله وتستمر روح الإنسان بعد وفاته محلّقة في عالم الأرواح .

٣ ـ **الجسد** : من المادة ، وما فيها من شهوات وغرائز وميول يشترك فيها الإنسان مع بعض المخلوقات التي تقتصر عليها أحيانا .

وإضافة إلى ذلك فقد خلق الله تبارك وتعالى **الانسجام الكامل** بين هذه العناصر الغريبة وأقام بينها **التوازن العادل** في الإنسان القويم ، وأن أي انحراف أو خلل في العناصر يؤدي الى الشذوذ من جهة ، وتعطيل جانب أساسي من عناصر الإنسان من جهة أخرى .

ومن أوجه التكريم والتفضيل أن الله تعالى خلق الإنسان على **أحسن هيئة ، وأكمل صورة** ، وهو ما صرح به القرآن الكريم في آية أخرى فقال تبارك وتعالى « **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** » سورة التين . آية ٤ ، وهو الاعتدال ، والاستواء ، بينما خلق غيره منكبا على وجهه ، وخلق الإنسان مستويا ، مع امتداد القامة ، وحسن الصورة ، وله لسان ذلق ، وأصابع يقبض بها ، وزينه بالعقل ، وهداه بالتمييز ، يتناول مأكوله بيده ، ويختار الطيبات بنفسه ويؤدي أوامر الله ، قال القاسمي « أي في أحسن تعديل خلقا وشكلا ، صورة ومعنى »

ومن أوجه التفضيل التي ذكرها العلماء في تفسير الآية الكريمة أن الله تعالى **حمل الإنسان في البر والبحر والجو** ، وأن الله خصصه بأنواع المطاعم والمشارب والملابس ، وأن الإنسان يكسب المال خاصة دون الحيوان ،ويلبس الثياب ، ويأكل المركبات من الأطعمة .

وحكى الطبري عن جماعة أن التفضيل هو أن **يأكل بيده** ، وسائر الحيوان بالفم ، وروى ذلك عن ابن عباس ، وقال الضحاك : كرّمهم بالنطق والتمييز ، وقال عطاء كرّمهم بتعديل القامة وامتدادها ، وقال الطبري : بتسليط الإنسان على سائر الخلق ، وتسخير سائر الخلق له .
وأرى أن هذه المميزات صحيحة ، ولكن أهم ميزة للإنسان يستحق بها التفضيل على غيره هي **العقل** وهو ما رجحه القرطبي ، وبيّنه بقوله « **والصحيح الذي يعول** عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف وبه يعرف الله ، ويفهم كلامه ، ويوصل الى نعيمه ، وتصديق رسله ، إلا أنه لما لم ينهض العقل . بكل المراد من العبد ، بعثت الرسل ،

وأنـــزلت الكتب ، فمثـــال الشـــرع الشمس ، ومثال العقل العين ، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء » ثم قال (وقد جعل الله في بعض الحيوان خصالا يفضل بها ابن آدم أيضا كجري الفرس وسمعه وبصره ، وقوة الفيل ، وشجاعة الاسد ، وكرم الديك ، وإنما التكريم والتفضيل بالعقل) . وزيادة في تكريم الإنســـان ، وأنه المخلوق المفضل عند الله تعالى ، وأنه المستخلف عن الله في أرضه ، فقد **سخّر له ما في الكون** ، وجعله تحت تصـــرفه ، ومكّنـــه من استعمـــالـــه واستغـــلاله ، وسلّطـــه على تـــذليله واستخدامه ، ووهبه الملكات والقدرات عـــلى إخضـــاعـــه ليستطيـــع تحقيق مطـــامحه ، والـــوصول إلى آمـــالـــه وأهدافه .

فالله سبحانه وتعالى **سخر الأرض للإنسان** . وجعلها له مقرا ، وذللها له طوعا ، ثم أمره بالمشى في أرجائها ، والسعى في جنباتها ، فقال تعالى « **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** » سورة الملك / آية ١٥ .

وقال عز وجل « **ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** » سورة لقمان ، آية ٢٠ .

وقال تعالى « **هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الـــزرع والـــزيتـــون والنخيـــل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليـــل والنهار والشمس والقمـــر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذّكّرون** » سورة النحل . آية ١٠ـ١٣ .

وبين القرآن الكريم أن الله خلق الليـــل والنهار ليستفيـــد الإنســـان منهما ، فقال تعالى « **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضـــلا من ربكم ولتعلموا عـــدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا** » سورة الإسراء . آية ١٢ .

وصرح القرآن الكريم أن الله تبارك وتعالى **خلق الأنعام ، وملكها للإنسان** ، ثم ذللهـــا له للـــركوب ، والأكل والمنافع والمشارب ، فقال تعالى « **أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكـــون . وذللنـــاها لهم فمنهـــا ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون** » سورة يس . آية ٧١ـ٧٣ .

ونقتصر على آية جامعة عامة تبين أن كل **ما في الأرض خلق للإنسان** . فقال تعالى « **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا** » سورة البقرة . آية ٢٩ وهذا التسخير لعناصر الكون للإنسان ينبه الى الأمور التالية .

١ ـ أن الله تعالى خلق الإنسان وخلق له ما يتوقف عليه بقاؤه ، ويتم به معاشه ، ممـــا في الأرض جميعا ، لينتفع به ، وهو ما يستدل به العلماء

على أن الأصل في الأشياء المخلوقة الإباحة ، فالله تعالى أودع باطن الأرض وطيات الجبال ، وقاع البحار ، وطبقات الجو والهواء ، خيرات كثيرة ، وذخائر عجيبة ، وموارد وفيرة ، مما يكفي الانسان والبشرية وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة « **وقدر فيها أقواتها** » سورة فصلت . آية ١٠ .

٢ ـ أن هذا التسخير **دعوة ملحة للنظر في الكون** ، والبحث في مكنوناته للاستفادة مما ادخره الله فيه وأن يضرب الإنسان في أرجاء الأرض للبحث والتنقيب ، والسعي والجد ،

لإعمارها وبنائها وإقامة المدنية والحضارة فيها وهو ما أراده الله تعالى بقوله « **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** » هود . آية ٦١ ثم أمر بالنظر والبحث والكشف فقال تبارك وتعالى « **قل انظروا ماذا في السموات والأرض** » سورة يونس . آية ١٠١ .

والانتفاع بالأرض والكون ليس منحصرا في **الظاهر** ، وإنما يشمل الظاهر الذي نصل إليه بالنظر السريع ، ويشمل الباطن الذي يحتاج الى بحث عميق ، ودراسة وعلم ، لذلك وجّه القرآن الكريم الإنسان الى البحث في الكون والتعرف على خواصه وأسراره . والانتفاع به في الحياة فقال تعالى عن الثروة المائية . « **وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها** » النحل آية/ ١٤ .

وقال تعالى عن الثروة النباتية « **وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه** » الأنعام/ ١٤١ .

وقال تعالى عن الثروة الحيوانية : « **والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم** » سورة النحل . آية ٥ـ٧ .

فإن قام الإنسان بواجبه تحقق الهدف من خلقه ، ومما خلق له ، وإلا كان **مقصرا ومهملا** ، كالعامل الذي وضعت بين يديه الآلات ليستعملها ، ولكنه لم يشغلها والوكيل الذي كلف بعمل ، ولكنه لم يقم به ، ومن هنا يثير القرآن الكريم أكبر الحوافز للبناء والتعمير ، واكتشاف الكون ، ومعرفة أسراره .

٣ ـ أن الله تعالى الذي سخر الكون للإنسان **منحه القدرة على استخراج أسراره ، وجعله في** قبضته ، ومتناول عقله ، وأن الله تعالى ربط تسخير ما في الكون بهذه الملكات التي وهبها للانسان بالنظر والتفكير والعقل ، وهو ما ختمت به آيات كثيرة ، بقوله تعالى : « **افلا تعقلون** » و « **لعلكم تعقلون** » و« **إن كنتم تعقلون** » مما يدل على أن الاستفادة من الكون وتسخيره لا يتوقف إلا على إعمال العقل والفكر ، واستخدام وسائل البحث والعلم ، سواء كان الانسان مؤمنا أم كافرا ، ومتى تحقق النظر الكامل ، والبحث الكافي ، فإن

الانسـان يسبـر أجـزاء الكـون ، ويستغلها لصالحه وصالح البشرية ، ولم يربط القرآن الكريم ذلك بأسرار كهنوتية ، ولا بطلاسم مغلقة ،

لكن اللـه تعالى استثنى بعض الأشياء فلم يفتح بابها للإنسان ، ولا تطولها يده ، ولا يصل اليها علمه ،

مهما أوتى من جد وبحث ، فمن ذلك حقيقة الروح ، وظاهرة الموت ، وتغيير السنن الكونية ، وتبديل نظام الكون .

وهذه **الاستثناءات تؤكد عظمة الله الخالق المدبّر** من جهة ، وضعف الإنسان المخلوق وعجزه من جهة ثانية ، وأنه يعمل ويتحرك ضمن النواميس التي رسمها رب العالمين .

٤ ـ أن الله تعالى : **سخّر الكون للإنسان لتحقيق رفاهيته** وتأمين سعادته ، وتوفير الكفاية له وتدبير أسبـاب العيش ، وجني خيـرات الأرض ، واستخراج دفائنها .

لذلك حـذر القرآن الكـريم من استغلال الكون للضرر والإضرار ، والفساد والإفساد وأحاطه بسياج من التوجيه والتنبيه ليبقى على الصراط السـوى ، ويسعى نحـو الخـير ،

ويتجنب سبل الشر ، فبسط الأرض للزراعة والبناء ، وسلك فيها السبل للتجارة والانتقال ، وألان الحـديد والمعـادن للصناعـة ، قال تعـالى : « **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للنـاس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز** » سورة الحديد / آية ٢٥ وقال تعالى « **وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير** » سورة سبأ . آية/ ١٠ و ١١ .

ونتيجة لذلك فقد استفاد المسلمون الأوائل من هذا التوجيه القرآني ، وأعملوا عقولهم في شؤون الكون ، وسخروا آلاءه الى أقصى حد قدروا عليه ، **وأنشأوا حضارة باسقة** ، ، **وعلوما مزدهرة ، ومدنية راقية** .

بينما تجمد المسلمون في العصر الحاضر ، واكتفوا بالقشور ، ووقفوا عند سور الدين الخارجي ، وقنعوا بالرائحة والاسم للاسلام ، وحصروا فكرهم وعقلهم في مجرد تلاوة القرآن الكريم بدون فهم ولا تدبر ولا تطبيق ،

ووضعه بعضهم على الرفوف والصدور ولوحات الزينة ، ولم يلجوا الى حقيقة الدين ، ورحبة الاسلام وأغوار القرآن الكريم وأصبحوا عالة على غيرهم ، يـأخـذون منهم العلـوم ومنتجـات الحضارة المادية ويقفون خلف الأمم بالتقاليد ، ويكتفون بالنظر إليهم ، وملاحقتهم بالأبصار والعبرات .

وفوق كل ذلك يقوم فريق **باتهام الإسلام بالجمود** وأنه يتنافى مع العصر ، ويقف في سبيـل التقـدم ويتعارض مع العلم ، مـع الغفلة والتغافل عن الدعوة الصريحة له ، والحث الشديد عليه ، والنعوة على المقلدين الذين يقفلون عقولهم ، أو

يستخدمونها في غير محلها ، فيضلون الطريق ، ويضلون الناس ، قال تعالى :

« **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** » سورة الأعراف / آية ١٧٩ ، وعذر هذا الفريق أنه لم يفتح كتاب الله تعالى ، ولم يتدبر القرآن الكريم ، ولم يبحث في تراث السلف وتخرج على أيدي المستشرقين وأذنابهم ، وغبّ من ثقافة المستعمرين وأتباعهم .

ومن مظاهر تفضيل الإنسان أن الله كلف الملائكة بالسجود لآدم ، وذلك أن الأمر الإلهي لم يقتصر على اختيار الإنسان خليفة في الأرض بل أكد ذلك في السماء والجنات العلا ، وقرنه بالفعل والتطبيق ، وأعلن ذلك في الملأ الأعلى عن إرادته في خلق آدم ،

واتخاذه خليفة ، وسجل ذلك في اللوح المحفوظ ، وأنزله وحيا يتلى على البشر ، فقال تعالى : (**وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين**) سورة (ص) آية ٧١ ـ ٧٤ .

وقال تعالى « **واذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبي أن يكون مع الساجدين** » سورة الحجر . آية ٢٨ـ ٣١ .

وقال تعالى : « **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى** » سورة البقرة . آية ٣٤ ، وكرر القرآن الكريم هذا الأمر ، وهذه القصة في عدة سور قرآنية لتذكير الإنسان بفضل الله تعالى عليه أولا وليعرف مكانته في الوجود والكون ثانيا ، وليحذر من غواية إبليس ثالثا .

قال علماء التفسير « أمرهم بالسجود له على وجه التحية والتكرمة ، تعظيما له ، واعترافا لفضله ، واعتذارا عما قالوا فيه ، وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم عليه السلام ، وهو سجود تعظيم وتسليم وتحية ، لاسجود عبادة »

ونستنتج من تكليف الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ما يلي :

١ ـ أن الملائكة الذين هم من جبلة خاصة ، وهم مفطورون على الخير المطلق ، والطاعة الكاملة ، قد كلفوا بتعظيم الإنسان واحترامه ، مما يدل على أن **عنصر الخير في الإنسان أساسي** ، وأنه إذا استخدمه بشكل جدي في الاتجاه الصحيح ، مع دفع المقاومة المادية والجسدية ، والوقوف حائلا أمام الشهوات والغرائز ، والمغريات الأرضية ، فإنه يكون عندئذ **أقوى شكيمة من الملائكة ، وأكثر عزما على مرضاة الله تعالى ، وأشد قربا** من الملائكة لجلال الله تبارك وتعالى .

وهذا ما صرح به كثير من علمائنا أن الانسان يفضل الملائكة أحيانا ،

واحتجوا بأدلة أخرى ، منها قول الله

تبارك وتعالى « **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** » سورة البينة / آية ٧ على قراءة الهمز « البريئة » من برأ الخلق

أي هو خير الخلائق ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لتضع

أجنحتها لطالب العلم رضي بما يصنع » رواه أبوداود والترمذي .

وبما جاء في الأحاديث أن الله تعالى يباهي بأهل عرفات الملائكة ولا يباهي إلا بالأفضل

قال العلامة القاشاني « وأما أفضلية بعض الناس كالأنبياء

المقربين فليست من جهة كونهم بني آدم ، بل من جهة السر المودع فيهم ،

المشار اليه بقوله تعالى « **إني أعلم ما لا تعلمون** » سورة البقرة / آية ٣٠

وهو ما أعد لذلك البعض من المعرفة الإلهية »

٢ - **أن الانسان مفطور على الخير ،**

وأن ما يصدر عنه من شر فهو لأمر عارض ، أو نزوة جانبية ، لقوله تعالى :

« **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** » سورة الروم آية

٣٠ ولقوله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه » رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعا .

وهو القول الراجح عند العلماء .

٣ - أن الله تعالى **جهز الإنسان بملكات خاصة** ، وميزه **بصفات فريدة** ، وفطره على أشياء تفوق فطرة

الملائكة ، وعنده الاستعداد الخاص الذي يمتاز به ، ويؤهله للخلافة ، وهو

ما أراده الله تعالى بقوله « **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة**

فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا

إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم

بأسمائهم » سورة البقرة / آية ٣١-٣٣ ، فالله سبحانه علم آدم

الأسماء كلها ، ليبين للملائكة شرف آدم ومكانته ، **بما فضله عليهم في العلم** وقال تعالى « **علّم الإنسان ما لم يعلم** » سورة العلق آية/ ٥ .

وهذا المعني يبين السر في الدلالة القرآنية التي كشفت عن حمل

الإنسان للأمانة الكاملة ، بعد أن عرضت على السموات والأرض ، قال

تعالى : « **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا .** » سورة الأحزاب آية ٧٢ .

٤ ـ أن إباء إبليس عن السجود لآدم يعتبر عصيانا واستكبارا ، فاستحق به اللعنة والوصف بالكفر ، والعذاب بالجحيم ، وهذا يدل على أن جند إبليس ، الذين يتصفون بهذه الصفات ويتكبرون على الله ، ويعصون أوامره ، ويعتزون بالإثم ويغلقون العقل عن التأمل والعمل في الكون للوصول الى خالقه ، ويغترون بما وهبهم الله تعالى من المنح الإلهية والعطايا ، إنما يقلدون إبليس ، ويرتدون صفاته ، وسوف يكون جزاؤهم جزاءه ، ومصيرهم مصيره .

كما يدل هذا المشهد القرآني من أمر الملائكة بالسجود لآدم ، وإباء إبليس لذلك على هذا **الصراع اليوم** وكل يوم ـ بين الخير وأهله ، وبين الشر وأعوانه ، وأن الصورة واحدة ، والمشهد يتكرر لينال كل فريق جزاءه ويصل كل فريق الى هدفه قال تعالى :

« **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » سورة الزلزلة / آية ٧و٨ .

وبعد فإن هذه الفضيلة للإنسان توجب عليه عقلا وشرعا أن يعرف مكانه عند ربه ، وفي الكون ، والحياة ، كما توجب عليه أن يشكر ربه على هذه النعم العظيمة ؛ وأن يلتزم بشرع ربه ، ويقف عند حدوده ، ويقصد مرضاته ، ليحقق إرادة الله ومشيئته ، ويفوز برضوانه وجنته ، والحمد لله رب العالمين .

● سنة الله ●

جرت سنة الله سبحانه أن يبتلي المؤمنين ويختبرهم ليمحص ايمانهم ، ثم يكون لهم التمكين في الارض بعد ذلك .. والأمن بعد الخوف .

فقد سئل الامام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ هل لنا ان نمكن أو نبتلى ؟ فقال : لا نمكن حتى نبتلى ، فإن الله لم يعط نوحا ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمدا ، صلوات الله وسلامه عليهم حتى صبروا .

وتدبر قول الله تعالى : « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا إن نصر الله قريب » ٢١٤ / البقرة .



حفزني الى تسجيل هذه الخواطر حافزان . اولهما : استشعرته من الحياة بين الناس اثناء الدعوة إلى الله والتعامل مع الناس ، إذ لا حظت بين طوائف البشر ، أن فريقا كبيرا منهم يتميز بالطبع الكفور ، والقلب الجحود ، والحس البارد ، كفران الاحسان اقرب شيء إلى أنفسهم ، وغمط أصحابه هو أسرع شيء على ألسنتهم ، هذا النموذج يسرح على هواه ، ويلهث وراء شهواته ومصالحه كما تسرح الأنعام ، إذا انقطع طمعه من إنسان قلب له ظهر المجن ، وهو كالحرباء وراء مراده ، يتلون بلون المحيط الذي يرى شهوته فيه، فبين الاتقياء تقي ، وبين المعربدين عربيد ، بل وربما إذا حقق مآربه وعاد إلى

جلده الحقيقي اراد ان يفرض عوجه على الأتقياء ، على أنه أمر واقع ما دام قد استغنى عنهم .

على ألسنتهم ألفاظ جوفاء عن الأصالة والرجولة والأدب وحفظ الود هم أبعد ما يكونون عنها ، وكيف يبقى منافق على ود ؟ وقد تألمت أشد الألم وأنا أرى التنكر باديا من وجوههم الكالحة .

وثانيهما: هو ما لاحظته اثناء مطالعتي للقرآن والسنة ، وبعض الكتب الاسلامية ، إذ وجدت أن معوج الطبع قد يفعل ما فعله من إنكار حقوق الخلق مع خالقه سبحانه وتعالى فيأخذ النعم لا ليشكرها ، وإنما ليبارز ربه بها ، فهو قد يستخدم جسمه القوي في المعصية وعقله الذكي في الخطيئة وجيبه الثري في الانفاق الحرام ، إنه لا ينظر إلى الله قدر ما ينظر إلى نفسه وإلى المخلوقين وكأنه قد أله نفسه وأله غيره ونسي ربه .

ورحت أتلو القرآن لأسكن به نفسي وأعيد الطمأنينة إلى قلبي وأمسكت المصحف أقلب صفحاته وقابلتني أول صورة من صور الجحود في بني اسرائيل إذ وصفهم القرآن بما وصفوا به انفسهم باعترافهم وبغير تجن عليهم يقول تعالى « **وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون** »البقرة / ٨٨ هذه القلوب المغلقة المختوم عليها موجودة بيننا تحمل اسماءنا ، قلت لواحد منهم قوي البنية متعلم ، يعيش في النعمة : اشكر الله يا فتى ، فأجاب : نعم . ولكن على ماذا لو كنت ابن روكفلر أو روتشيلد لشكرته ، ومثل هذا الكنود قد جعل حجب الشهوات تحيط بقلب صاحبه فتجعله يتمنى ان لو ولد من أب غني وان كان كافرا لأنه لا يرى نعمة الاسلام عليه نعمة تشكر ، وتكملة لهذا المشهد من كنود النعمة يضيف القرآن ان هؤلاء في علمهم بالحق وعدم عملهم به كأنهم جهلة لا يعلمون « **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون** » البقرة/ ١٠١ وجاحدوا اليوم كجاحدى الامس يعلمون انهم على الباطل وان هدى الله هو الهدى ولكنها الدنيا المؤثرة تصدهم عن الحق ، وقد أشار القرآن إلى أن الكفار والمنافقين يشاركون بني إسرائيل هذه الخليقة اللئيمة فقال تعالى : « **وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون** » فصلت / ٥ وقال : « **افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدي الشيطان سول لهم واملى لهم** » محمد / ٢٤ ـ ٢٥ .

ولله على هؤلاء المحادين حكم . بمصير يليق بكنودهم وتفرعنهم وانتفاخ أوداجهم ، فلهم جهنم وعليهم الذلة كما كانت على من قبلهم مهما اظهروا العزة ومهما تظاهروا بالمظاهر المنمقة والمزخرفة وهذا كله وفق قوانين ذكرها رب العزة في القران الكريم فالله يقول : « **ومن يشاقق الرسول من**

بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »النساء / ١١٥ فليهنأوا في دنياهم ، ولكن من باب « نمتعهم قليلا » وكذلك يكبتون وفق قانون الجزاء من جنس العمل ، « إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم » المجادلة / ٥

وهم بهذه المشاقة ظالمون وطبعا لانفسهم ومعرضون ، ناسون لما جنته ايديهم إذا ذكروا لا يذكرون يقول تعالى : « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وإن تدعهم إلى الهدى ، فلن يهتدوا إذا ابدا » الكهف/ ٥٧

وهم ايضا موتى رغم حياتهم إذ الحيّ فعلا هو حيّ القلب ، والميت هو ميت القلب وقد قيل :

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا
كاسفا باله قليل الرجاء

وقد قال تعالى : « إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله » الانعام / ٣٦ .

وهم يعيشون في ضنك رغم مظاهر النعيم التي يحيطون انفسهم بها فتلك ثمرة الإعراض عن شرع الله يقول تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى ، فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى » طه/ ١٢٤ ـ ١٢٦ .

ويقول الامام ابن كثير : « أي خالف امري ، وما انزل على رسولي ، وأعرض عنه وتناساه، وأخذ من غيره هداه » .

ومنها أنهم لخبث طويتهم حواسهم مطموسة وقلوبهم غافلة ، وهم كالأنعام بل هم أضل : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون» الاعراف/ ١٧٩ . « ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » الانفال / ٢٣ .

وأخطر ما في طباعهم هو ان مسالكهم المعوجة قد تحسن في انظارهم فيحسبون انهم على شيء وماهم على شيء ويظنون ان سعيهم مشكور ، بينما أعمالهم في الحقيقة بور ، يقول تعالى : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ه الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » الكهف / ١٠٣ ـ ١٠٤ .

يقول ابن كثير : وهذه الآيات عامة في كل من عبدالله على غير طريقة مرضية ، يحسب انه مصيب فيها ، وأن عمله مقبول ، وهو مخطىء وعمله مردود ، كما قال تعالى : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » الفرقان/ ٢٣ ، « والذين

ضل سعيهم في الحياة الدنيا اي عملوا اعمالا باطلة على غير شريعة مرضية ، وقد روي البخاري عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضه ، وقال : اقرأوا إن شئتم « **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** » الكهف /١٠٥ . إن بعض الناس يسب الدين ويعلن انه يهودي او نصراني ويخرج على دين الله علنا وسرا ، ويفرط في الفرائض ببلادة صفيقة ، ثم يقول : إنه من أهل الجنة ، أي جنة،لا أدري لعلها جنة الحالمين مع فرعون

، وانها لقلوب لم تنشرح للاسلامُ أصلا ، أو انشرحت له ظهرا ولم تنشرح له بطنا ، إنهم يسيطر عليهم منطق المصلحة لا منطق اليقين ، وهؤلاء ذكر الرسول وصفا دقيقا لهم يشخص فيه امراضهم القلبية وأن فرق ما بين الذاكر والغافل كالفرق بين الحي والميت ، وبداية حياة القلب تبدأ من تقدير المعروف الذي يسد يه الخلق إليه ، فالناسى لمعروف الناس ناس لمعروف الرب سبحانه وتعالى وقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « من استعاذ بالله فاعيذوه ، ومن سألكم بالله فاعطوه ، ومن استجار بالله فأجيروه ، ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه » رواه ابو داوود والنسائي، وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أعطي عطاء فوجد فليجز به ، فان لم يجد فليثن،فإن من أثنى فقد شكر ، ومن كتم فقد كفر ، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور » رواه الترمذي .

وعن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أشكر الناس لله تبارك وتعالى اشكرهم للناس » .

وفي رواية :«لا يشكر الله من لا يشكر الناس » رواه احمد ورواته ثقات

وإذن فهؤلاء الذين يطعمون خير الناس وينالون معروفهم ثم يقابلون المعروف بالنكران فلا يعترفون به ولا يدعون لمن صنعه معهم ولا يثنون عليه فقد كفروا نعمة أسداها إليهم أناس ما انتظروا أن ينحط هؤلاء الى هذا الدرك ، وقد رأينا بعض الحيوانات تستميت من أجل إنقاذ من يطعمها بل وتموت حزنا إذا مات .

والعمر لا يحسب بطوله وإنما يحسب بعرضه ، والحياة تحسب بالحس المتوقد لا بالتبلد وقد روى ابو موسى الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل المؤمن الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت » متفق عليه .

وهؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار تنتظرهم جائحة تقتلعهم اقتلاعا لأن النذر ما أغنتهم شيئا ، ولن تغني عنهم ساعتها قوى الوجود كلها بل لعلها تكون حينئذ وبالاً عليهم وقد قال الرسول الكريم منذرا بمصير هؤلاء المغترين بما أوتوا « مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح

مرة ، وتعدلها مرة ، ومثل المنافق كالارزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة » متفق عليه .

والقلوب التي لا تحفظ الحق ولا تنصاع له كالارض السبخة لا تستفيد ولا تفيد ، بل إنها تحيل الحلو النافع إلى مر ضار ذلك انها لخبثها لا تقترب من شيء الا نفحته بعض خبثها روى ابو موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير ، أصاب ارضا ، فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب ، أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان ، لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » متفق عليه .

ويعلق الامام ابن القيم على هذا الحديث الشريف بقوله « وهذه « الارض التي قبلت الماء فأنبتت ... » بمنزلة القلب القابل لهدى الله ووحيه المستعد لزكائه فيه وثمراته ونمائه، وهذا خير قلوب العالمين ،

وهذه ـ الارض الثانية ـ بمنزلة القلب الذي حفظ الوحي وضبطه ، وأداه إلى من هو أفهم له منه وأفقه وهذا في الدرجة الثانية .

وهذه ـ الارض الثالثة ـ حال اكثر الخلق ، وهم الاشقياء الذين لم يقبلوا هدى الله ، ولم يرفعوا بذلك رأسا ، ومن كان بهذه المثابة فليس من المسلمين ، إذ لابد للمسلم ان يثمر الوحي في قلبه فينبت عملا صالحا ، وكلما طيبا ، ينفع به نفسه وغيره ، بحسب قدرته ، فمن لم ينبت قلبه شيئا من الخير البتة ، فهو من أشقى الأشقياء » .

ويحق في هذا الاخير قول القائل

فما لك ليس ينفع فيك وعظ
ولا زجر كأنك من جماد
ستندم إن رحلت بغير زاد
وتشقى إذ يناديك المنادي
فإن تأمن لذى الدنيا صلاحا
فإن صلاحها عين الفساد
ولا تفرح بمال تقتنيه
فإنك فيه معكوس المراد
وتب مما جنيت وانت حي
وكن متنبها يوم الرقاد
أترضى أن تكون رفيق قوم
لهم زاد وانت بغير زاد

المعاصي بريد النقم

لبعض الغافلين ولع شديد بالشهوات ، وإذا فترت حدة تشهيه بحث عن المشهيات والمقويات والمنبهات ، ليله فكر في لذة ، ونهاره نهم في اكلة ، يظن أن حاله في التنعم إلى دوام ، ولا يعلم أن هذا من غلبة الشيطان عليه ، إذاذكروا لا يذكرون ، وإذا وعظوا لا يتعظون ،

« **ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا** » الفرقان / ٢٧ ويغفلون عن ان كل شيء عرضة للزوال غير ربي وصالح الأعمال ، وان من اشتد تشبثه بالشهوات خطوة ، انفتح عليه

باب زوالها خطوات إذ كل طاعة يقابلها من الرب عطاء ، وكل معصيه يقابلها منه منع ، فهل ينتبه الغافلون او يرعوي العاصون ، وهل نذكر ان الشكر قيد النعم ، وان المعاصي بريد النقم .

روى ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا معشر المهاجرين ، خصال خمس ، إن ابتليتم بهن ، ونزلن بكم ، أعوذ بالله ان تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم ، حتى يعلنوا بها ، الا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في اسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين ، وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة اموالهم الا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله ، إلا سلط عليهم عدوا من غيرهم فيأخذ بعض ما في ايديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم »رواه ابن ماجه و البزار والبيهقي .

وصدق من لا ينطق عن الهوى ، فما الآيدز والهربس وما يستجد من امراض الا بعض آثار انكباب المنكبين على شهواتهم ، وما عدم الاستقرار والاطمئنان وقحط الارض وشح السماء بالمطر الا نتائج معجلة لعصيان العاصين وصدق الله العظيم « **جزاء وفاقا** » ويقول الامام ابن القيم : فما أزيلت نعم الله بغير معصية .

إذا كنت في نعمة فارعها
فإن المعاصي تزيل النعم

فآفتك من نفسك ، وبلاؤك من نفسك ، وانت في الحقيقة الذي بالغت في عداوتك وبلغت في معاداة نفسك مالا يبلغ العدو منك كما قيل :

ما يبلغ الأعداء من جاهل
ما يبلغ الجاهل من نفسه

ومن العجيب انهم يشكون الاقدار ويلومونها مع انهم فرطوا في حظ انفسهم وعجزوا عن معرفة أسباب سعادتها وكأنهم المعنيون بقول القائل :

وعاجز الرأي مضياع لفرصته
حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

أو بقول القائل :

أفنيت عمرك والذنوب تزيد
والكاتب المحصي عليك شهيد
كم قلت لست بعائد في سوأة
ونذرت فيها ثم صرت تعود
حتى متى لا ترعوي عن لذة
وحسابها يوم الحساب شديد
وكأنني بك قد أتتك منية
لاشك أن سبيلها مورود

والمعاصي من إغواء الشيطان ، والمسلم العاقل هو من يسد منافذ الشيطان الى قلبه ونفسه من غضب وقسوة وشبع وطمع وسوء ظن بالمسلمين ، وما أكثر تلك المنافذ .

من منافذ الشيطان الى القلوب

كثيرة هي منافذ الشيطان الى القلوب ، ولكن أهمها بالنسبة لعبيد الشهوات

● ـ اتباعهم لأهوائهم واعجابهم بآرائهم فترى الواحد منهم عبد هواه فمنه ينطلق وعليه تنبني مواقفه ، قد

يكره صالحا ويحب طالحا ويقرب عاصيا ويبعد عابدا ، لأن هواه زين له ذلك،فكره متقلب ومواقفه غير ثابتة لأنها لا تعتمد على حق ثابت وإنما تعتمد على هوى جامح وصدق الله العظيم « **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون** » المؤمنون/ ٧١ .

وأما إعجابهم برأيهم فيصدهم عن الحق صدًا لا يجعل نافذة - ولو ضيقة - مفتوحة للحق في قلوبهم ، إن قلت قال الله قالوا : « قالت (المودّةُ)» ، وان قلت قال الرسول قالوا قال:« التحضر » ، وإن قلت قال آباؤنا وأجدادنا قالوا : جبنا لم تكن عندهم الشجاعة للخروج على الموروث ، العري : عندهم مدنية والتنكر للرحم-حتى لو كانت - أبا أو اماً - مشاغل،اذا وجدوا فراغا هرعوا إلى الكازينو الفلاني او الشاطىء الفلاني ، همهم هم جماعاتهم،هذا لا مانع عنده من مجالسة زوجته شبه عارية لصديقه فإن بدا منك اعتراض وصفوا العاريات بكل مكرمة والصقوا بالمستورات كل نقيصة .

● الغضب-وطبعا ليس لله-فالغضب إذا انتهك الحق مطلوب ، وإنما غضب المحاربين لله لأن الناس ليسوا على هواهم أبغض الاشياء اليهم ان تذكر عذاب السعير ، ولربما سبوا سبا منكرا أو قالوا هجرا وزورا ، أحدهم يقول : كلما رأيتني قلت : النار . النار . النار . ومعلوم أن الغضب لغير الحق هو غول يغتال العقل وجمرة توقد في جوف ابن آدم وإذا ضعف العقل واتقدت نار الغضب أخذت الشياطين بخطام ابن آدم فصيرته الى ما تريد فوجدته أحكامه معتلة وبصيرته مختلة ، قد وظف لسانه لغير ما وظف له من حمد وشكر ، في عنفوانه قد يهدم ما بناه ، أويهين من والاه ، او حتى يكفر بمن خلقه ..

● الشهوات - سواء أكانت في النساء ام الطعام هي سلاسل ابليس يجتذب منها الخلق الى جهنم ، ذلك ان الشبع يقوي الشهوات ، ويفتق المعدة لتطلب المباحات حتى تستعبد لها وكذلك شهوات النساء : المشغولون بها فكرهم تافه ، وحديثهم غث ، ووقتهم ضائع وهناءتهم العائلية لا وجود لها ، لأن قلوبهم تتقلب في الإعجاب بالحسان وعيونهم لا تعرف الاستقرار على وضع جمالي حلال هو الزوجة ، لا يذوقون طعم الرضا بما قسم الله وقدر فيعيشون في ضجر دائم ، وتلك عقوبة الله المعجلة للمحادين له .

وفي آفات الطعام وحدها ستة أدواء مذمومة :

أ - تذهب خوف الله من القلب

ب - تذهب الرحمة للناس من القلب لأنه يظن ان الناس كلهم شباع

جـ - تثقل الجسد عن الطاعات وقد قال لقمان : إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة .

د - عدم الشعور بالرقة من سماع الحكمة فكيف يحزن من عاش حياته فرحا وكيف يرق القلب وهو متخم

هـ - عدم وقوع الوعظ اذا صدر منه في قلوب الناس ولذلك حسن ان يعظ الانسان وهو جائع

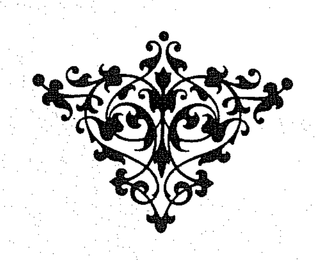
و ـ تهييج الامراض في الجسم فالمعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء .

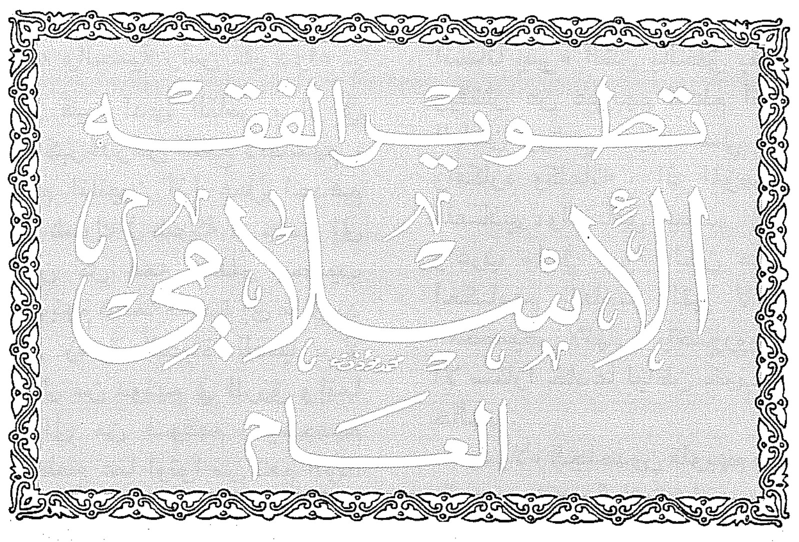
● الطمع فيما لدى الناس ، او في تحصيل اكبر قدر من النفع لأنفسهم ، ذلك لأنهم انانيون اذا عمل احدهم عملا ، او شارك في شركة أو جلس إلى مائدة كان كل همه الظفر بنصيب الاسد،عيونهم دائما ممتدة إلى ما في يد الغير من زهرة الحياة الدنيا ، لا ينظرون إلى من دونهم في الرزق وإنما نظرهم الى من فوقهم ، يحجبهم حجاب الطمع عما اوتوا من نعم الولد والعافية والمنصب يريدون الغنى من كل شيء والاستمتاع بكل متاع ونسوا قوله تعالى « **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون** » يونس/ ٥٨ وقول الرسول الكريم : « إذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق ، فلينظر إلى من هو اسفل منه » متفق عليه .

● سوء الظن بالمسلمين ، فماذا تنتظر من محاد لله ولرسوله ولعباده ، يعيش لذاته من ملذات ومتاع،يطير الى اللقمة،ويخنس عند أول بارقة لكلمة حق ، أو وقفة صدق مع نفسه أو مع غيره ، شرير يظن ان الناس جميعا أشرار ، لم يجرب طهر القلب ولا النفس ولا سمو الفكر ومتى رأيت انسانا يسيء الظن بالخلق بغير سبب ويفتش عن عيوبهم فاعلم أنه خبيث الباطن يرشح خبثه على نظراته وأفكاره وكلماته ، إذ المؤمن يطلب المعاذير،والمنافق يطلب العثرات وأغرب ما في سوء الظن من هؤلاء، أحكامهم العامة التي لا تعرف التخصيص لانهم لا يتصورون الطاعة الا ستارا خادعا لباطن خرب كما هو حالهم .

وهؤلاء الجاحدون قلوبهم مشحونة بالهوى منكوسة لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا ، مسدودة عن الملائكة مفتوحة على مصراعيها للشياطين ، ألفت العيش مع هواها واستولت عليها الظلمات وران عليها ما اكتسبت من معاص واوحت اليهم شياطينهم من القول زخارف حتى قوي سلطان الشيطان وضعف سلطان الايمان عليهم فأصبحوا صرعي لا ينفع فيهم وعظ .

وأخيرا هذا المقال نصيحة صادقة قصدت بها ان يفيق هؤلاء المشاقون لله قبل ان يفوت الأوان فيقللوا العلائق بالشهوات ويستجيبوا لداعي الفطرة « **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** » الروم/ ٣٠ ..





للأستاذ / محمد بن علي بن جبرة

لا ريب أن الأمة الاسلامية اليوم في حاجة إلى نهضة شاملة في كل المجالات ، تثور على الأوضاع التقليدية وتخلّص الفكر الاسلامي من الجمود ، وتؤسس النظام الاسلامي وتقيمه على هدى الشريعة الاسلامية المرنة ، وتسخّر من أجل ذلك كل علوم العصر وتقنياته .

ولا يمكن أن تقوم هذه النهضة الاسلامية المعاصرة بعاطفة جياشة نحو الاسلام أو بالاشتغال بالجزئيات والفروع دون النظر الى مقاصد الدين الكلية ، بمعنى أنه لا بد أن تقوم هذه النهضة على منهج تشريعي معاصر مقدر يلبي حاجاتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. علما بأن القضايا التي تجابه الأمة الاسلامية اليوم هي قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية عامة أكثر منها قضايا خاصة فردية ، ، ذلك أننا نريد أن نستدرك ماضيعنا في جوانب الدين ، والذي عطل منه أكثره يتصل بالقضايا الجماعية والواجبات الكفائية .

الواقع الفقهي للأمة الاسلامية

إن الأمة لا تشكو أزمة في فقه العبادات والأحوال الشخصية ، فتلك أمور يتوافر فيها فقه كثير ويحفظها المسلمون ، ولو ضيعوها أحيانا لا يضيعونها اعتقادا ولا يغفلون عنها غفلة كاملة .

أما الأزمة التي تواجهنا ففي القضايا العامة من سياسة واقتصاد واجتماع وعلاقات دولية ، فهي معطلة لدينا ومغفول عنها .

إننا نعيش أزمة في الفقة العام لم يعش مثيلا لها المسلمون الأوائل إذ اعتصموا بأول وثيقة دستورية توحيدية ، فكان عهدا تشريعيا رعى مصالح الأمة العامة رعاية شاملة ..
غير أن الضعف مالبث أن أعترى صفوف المسلمين ، فأصابتهم الفتنة وتلهى الشعب المسلم بالصراعات والجزئيات ، وافتتن الحكام بالسلطان وبريقه ، بينما انصرف الفقهاء عن الاشتغال بالسياسة والقضايا التشريعية العامة بسبب الأظهاد الذي سلط على البعض منهم ـ فأصبح موروثنا في الفقة العام ضئيلا بالنسبة الى الموروث من التراث الفقهي في المجالات الأخرى ، وعجز الفقه العام عن مجاراة التجارب البشرية والتبدلات الجذرية في الحياة الاسلامية عبر التاريخ .

لقد بان للدعاة اليوم أن الفقه الذي بين أيديهم ، مهما تفنن حملته بالاستنتاجات والاستخراجات ومهما دققوا في المراجعات والحواشي والشروح ، لن يكون كافيا لحاجات الدعوة وتطلع المخاطبين بها . ذلك ان قطاعات واسعة من الحياة قد نشأت من جراء التطور المادي والاجتماعي ، وهي تطرح قضايا جديدة في طبيعتها لم يتطرق إليها الفقه التقليدي ، ولأن علاقات الحياة الاجتماعية وأوضاعها تبدلت تماما ، ولم تعد بعض صور الأحكام التي كانت صالحة منذ الف عام تحقق مقتضى الدين اليوم ولا توافي المقاصد التي يتوخاها لأن الامكانات قد تبدلت وأسباب الحياة قد تطورت والنتائج التي تترتب على إمضاء حكم معين بصورته السالفة قد انقلبت انقلابا تاما
ثم إن العلم البشري قد اتسع اتساعا كبيرا ، وكان الفقة القديم مؤسسا على علم محدود بطبائع الأشياء وحقائق الكون وقوانين الاجتماع مما كان متاحا للمسلمين في زمن نشأة الفقه وازدهاره . ومع تزايد المتداول في العلوم العقلية المعاصرة بأقدار عظيمة ، أصبح لزاما علينا أن نقف في فقه الاسلام العام وقفة جديدة لنسخر العلم كله لعبادة الله عز وجل ، ولعقد تركيب جديد يوحد ما بين علوم النقل من قرآن وسنة وبين علوم العقل التي تتجدد كل يوم وتتكامل بالتجربة والنظر . وبذلك العلم الموحد نجدد فقهنا في مجالات الحياة العامة ، وإنها لعملية صعبة تتطلب مجهودا علميا موحدا ، وأناسا واثقين بأنفسهم وبدينهم وحجتهم .

التعميم لم يعد كافيا والتعامل مع العصر بحاجة الى صياغة جديدة

من المآخذ التي يؤاخذ بها الدعاة اليوم تلك التعميمات والاطلاقات التي تؤكد أن الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، وان تقدم الأمة مرهون بمدي

تمسك المسلمين بمنهج دينهم في جميع مجالات الحياة .. وإذا كانت تلك التعميمات قد فعلت شيئا لاعادة ثقة المسلمين في دينهم وانفسهم ، حين تعرض كيانهم لعدة هجمات ضروس ، وحين بلغ منهم اليأس مبلغه ورأى بعضهم أن سبيل الانقاذ في الانسلاخ من تاريخهم وشخصيتهم ومتابعة الغرب « المظفر » في كل شيء .

فإن تلك العبارات العامة المتفائلة لم تعد تقنع العامة في الأمة فضلا عن مثقفيها .. مما يستوجب إعادة صياغة الفكر الاسلامي حتى يتسم بالوضوح والعمق والتطور .. وتلك مهمة تاريخية عظيمة فلم يعد إسلام الوعظ والارشاد ، إسلام المواقف الانفعالية بقادر على التعبئة والنهوض .
ولئن شعر علماء الاسلام ومنذ سنوات بضرورة تطوير الفقه العام وامتلاك البديل الاسلامي إلا أنهم لم يسيروا عمليا في اتجاه إيجاده ، فما يكاد أحاد يعملون أذهانهم ويقدمون للناس رأيا صوابا أو خطأ حتى تنقض عليهم الغالبية العظمى من متعلمين وغير متعلمين بحجارة المروق والضلال (وأحيانا الزندقة والكفر ، ناسين أن فتح باب الاجتهاد يقتضى ضمان حريات المجتهدين وحرماتهم أصابوا أم أخطأوا ويستلزم الحفاظ على الحق في الخطأ غير العمدي ، وما أروع حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي ضمن للمجتهد المخطىء أجرا حين قرر للمصيب أجرين . إن واجب المسلمين في كل عصر ومصر ان يحيلوا المبادىء العامة الى صيغ أكثر تحديدا تعالج المشكلات القائمة معالجة إسلامية واقعية ، وتخاطب الناس بما يفهمون وتبين لهم طريق الخلاص مما يعانون بالذات ، ولا نضيع في تيه التعميمات التي لا تحدد الداء او الدواء ولعلها تقنع بترديد أن الداء يكمن في فصل الدين عن الدولة وأن الدواء هو تحكيم الاسلام في الحياة .. وليس ثمة اختلاف في أن هذا هو الأصل العام بالنسبة للدعاة ، ولكن يبقى بعد ذلك واجب المفكر الذي يختلف عن واجب الواعظ ، وهو ان يبرز المشكلة بمختلف جوانبها ويحدد العلاج ويصوغ القوانين بشكل مفصل دقيق .

ومهمة المفكر بطبيعتها محدودة بحدود زمانه ومكانه فينبغي ألا يخشى الخطأ والقصور ، وينبغي ألا يخشى الحوار والنقاش والاختلاف في الرأى مع غيره ، وليذكر أن اختلاف الأراء ظاهرة صحية إذا توافرت لها الشروط المنهجية والأخلاقية فلا يصدر عن هوى وفتنة بل يكون تمحيصا رشيدا وحوارا بناء مثريا للفكر معينا على تلمس وجه الحق .

وأمام المفكرين المسلمين مجالات واسعة متعددة لتقديم صيغ إسلامية معاصرة نذكر منها :

● حقوق الانسان وحرياته العامة متوازنة مع واجباته والتزاماته إزاء الأفراد آلآخرين والدولة .

● المؤسسات السياسية وطبيعة وضعها ومهامها وحقوقها وواجباتها .
● المساواة الدستورية والقانونية والاقتصادية ، طبيعتها وحدودها ، ضماناتها وفعالياتها في مجال التطبيق وبخاصة للمرأة ولغير المسلم ..
● المؤسسات الاقتصادية في مجالات الانتاج والخدمات والنشاط الرأسمالي والفعاليات الممكنة للقطاع العام والخاص . ونشاط المؤسسات المصرفية ومؤسسات التأمين ..
● العلاقات الدولية ، والأحلاف السياسية ، والتعاون مع غير المسلم ولن يقنع المثقف المسلم اليوم أن يقال أن حقوق الانسان تكفي لبيانها وتفصيلها آية من القرآن الكريم ذكرت كرامة الانسان ، وإن بقيت الآية الأصل الجامع الخالد الذي تنفجر منه صيغ غير متناهية تتوالى بتوالى الأزمان وتباين الحاجات والأفهام لتفصيل ما يحقق كرامة الانسان وما يضمن إنفاذ الحقوق المقررة .

ولن يقنع أحدا أن الآيتين اللتين ذكرتا الشورى في القرآن الكريم غناء عن معالجة طبيعة هذه الشورى وحدودها ومجالاتها والأجهزة القائمة على تحقيقها . ولم يعد مقنعا أن نذكر تحريم الربا بنصوص محدودة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، دون النفاذ الى تطوره التاريخي وصور المعاملات الواقعية .

وخلاصة القول : أن المجتمع المسلم ينبغي أن يكون أكثر المجتمعات وأدقها تنظيما لأن جميع شؤون الحياة في الاسلام تتوجه الى عبادة الله سبحانه وتعالى ، فلا يمكن أن نستشير ملايين الناس تطبيقا لآية الشورى ، إلا إذا نظمت شئونهم في جمعيات ومؤسسات . ولا يمكن أن نحقق الاخاء والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا بالتنظيم الدقيق .

حاجتنا للاجتهاد وتطوير أصوله

قلنا أن القضايا التي تجابه الأمة ، هي قضايا شرعية عامة أكثر منها قضايا خاصة ، ففي مجال السياسة والاقتصاد العام والاجتماع تواجهنا المشكلات والتحديات والأسئلة المحرجة . ولا يعارض أحد ـ يدرك تمام الادراك أهمية الاجتهاد وضرورته لتسيير النظام الاسلامي في أوضاع

العصر المتطورة وظروفه المتغيرة ـ في وجوب فتح باب الاجتهاد ، ذلك أن حاجتنا للاجتهاد في جوانب الحياة العامة واسعة جدا نظرا لقلة النصوص التي تتعلق بنظام الحياة العامة . ولئن كانت كل آية في القرآن الكريم وكل سنة فرعية تؤثر بصورة أو بأخرى على تلك الحياة ، فإن النصوص المباشرة ليست كثيفة للطبيعة المرنة في وظائف الحياة العامة وما تقتضيه من سعة .

وقد أدى انحسار الطبيعة الدينية للحياة السياسية والاقتصادية في تاريخ المسلمين الى أن تكون الممارسات والتجارب السابقة ضئيلة وكذلك الموروث الفقهي الذي يعالجها ومن هنا تنشأ الحاجة الملحة لتطوير وتجديد اصول الفقه الاسلامي كنظام يضبط نشاطنا الفقهي حتى لا تختلط علينا الأمور وترتبك المذاهب ويكثر سوء التفاهم والاختلاف في مسائل تتصل بالحياة العامة السياسية والاقتصادية والادارية والدولية وغيرها مما يؤثر على وحدة الأمة ونهضتها .

وهذا لا يعني بحال نبذ او اهمال أسس الاجتهاد وقواعده التي دونها الفقهاء قبل ألف سنة لمجرد أن قد تقادم عليها العهد ، بل الذي علينا بشأنها أن نستعرضها بمعقولية وجدية حتى نعرف بماذا تتسم به هذه الاصول والقواعد من مزايا ومقاصد ، وهل من الممكن ان تكون للاجتهاد أصول وقواعد أخرى على ضوء العلم الحديث (إعلامية .. علم الاحصاء والنسب) ، ولنحذر في الاستعانة على الاجتهاد بكل ما كسب الانسان المعاصر من علوم أن نقع في أسر الغزو الثقافي فتتغير معاييرنا من حيث لا نشعر .

نحو أصول واسعة لفقه اجتهادي

نحتاج في نشاطنا الفقهي لأن نركز تركيزا واسعا على جوانب الحياة العامة ، وعلى تطوير القواعد الاصولية التي تناسبها .

وفي هذا المجال يلزم الرجوع الى النصوص بقواعد التفسير الاصولية ، ولكن ذلك لا يشفي إلا قليلا لقلة النصوص ، لذا وجب أن نطور طرائق الفقه الاجتهادي التي يتسع فيها النظر بناء على النص المحدود .

القياس الواسع : إن القياس التقليدي أغلبه لا يستوعب حاجاتنا بما غشيه من التضييق انفعالا بمعايير المنطق الصوري التي وردت على المسلمين مع الغزو الثقافي الاغريقي . فعبارة القياس واسعة جدا تشمل معنى الاعتبار العضوي بالسابقة وتشمل المعنى الفني الذي تعارف عليه الفقهاء من تعدية حكم أصل إلى فرع بجامع العلة ، ولربما يجدينا ايضا أن نتسع في القياس على الجزئيات لنعتبر الطائفة من النصوص ونستنبط من جملتها مقصدا معينا من مقاصد الاسلام أو مصلحة معينة من مصالحه ، ثم نتوخى ذلك المقصد حيثما كان في الظروف والحادثات الجديدة ، وهذا فقه يقربنا جدا من فقه عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنه فقه مصالح عامة واسعة ، يركب مغزى اتجاهات سيرة الشريعة الأولى ويحاول على ضوء ذلك توجيه الحياة الحاضرة .

والقياس الواسع يستلزم شيئا من التجربة من الظروف المحدودة التي جاءت سياقا ظرفيا إنه القياس الاجمالي أو قياس المصالح المرسلة .

الاستصحاب الواسع :

حسب قاعدة الاستصحاب الفقهية « الأصل في الأشياء الحل وفي الأفعال الاباحة وفي الذمم البراءة من التكليف ، وكل ماأخذ لمتاع الحياة الدنيا عفو متروك لا له ولا عليه إلا أن يرد النص فينفي صفة العفاء أو الاباحة عن فعل معين » .

ومن هنا ضاقت دائرة المحرمات في شريعة الأسلام ضيقا شديدا واتسعت دائرة الحلال اتساعا كبيرا ، ذلك أن النصوص الصريحة الصحيحة التي جاءت بالتحريم قليلة جدا ، وما لم يجيء نص بحله أوحرمته فهو باق على أصل الاباحة وفي دائرة العفو الالهي وفي هذا ورد حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم « ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسى شيئا ، وتلا قوله تعالى : « **وما كان ربك نسيا** » رواه الحاكم وصححه واخرجه البزار .

وإذا جمعنا أصل الاستصحاب مع قياس المصالح المرسلة تتهيأ لنا أصول واسعة للفقه العام .

إن إنجاز البديل الاسلامي وتحقيق المشروع الرسالي مهمة أجيال ولعمري انها لعملية صعبة على إنسان هذا العصر ، لكنه الأمر الذي لا بد منه إن عاجلا أم أجلا ولندرك أيضا أن طريق الألف ميل يبدأ بخطوة ، والله ولي التوفيق .





للدكتور /

محمود محمد عمارة

في رجب من السنة الثانية للهجرة بعث صلى الله عليه وسلم عبدالله بن جحش . وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين . ليس فيهم من الانصار أحد . وكتب له كتابا وأمره ألا ينظر فيه الا بعد يومين من مسيره . فاذا نظر فيه فليمض لما أمره به . ولا يستكره من أصحابه أحدا .

فلما سار عبدالله يومين . فتح الكتاب . فنظر فيه . فاذا فيه : (اذا نظرت في كتابي هذا . فامض حتى تنزل نخلة . فترصد بها قريشا . وتعلم لنا من أخبارهم) .

فقال عبدالله بعد قراءة الكتاب : سمعا وطاعة . ثم قال لأصحابه : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا .. وقد نهاني أن استكره أحدا منكم .

فمن كان منكم يريد الشهادة . ويرغب فيها . فلينطلق . ومن كره ذلك فليرجع .. فأما أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمضى . ومضى معه أصحابه . لم يتخلف عنه منهم أحد .

وهكذا يلقنهم صلى الله عليه وسلم دروسا في : الكتمان .. والتدريب على الاحاطة بأحوال العدو قبل مواجهته . ثم .. كيف لا يفرض القائد الدور على الجندي فرضا .. حتى يختاره بمحض ارادته .. اللهم الا اذا تعين هذا الجندي لأمر .. فلابد حينئذ من التكليف ..

وكانت الأسوة الحسنة خاتمة الدروس المستفادة .. والتي حققت ثمرتها باستجابة الجند لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. والذي اختار لهم أميرا لا يدير المعركة من غرفة العمليات .. وانما هو معهم .. بل أمامهم على خط النار .. ثم هو قد احترم آراءهم .. ففوض أمر الاشتراك في الخطر اليهم .. فكانوا هم أصحاب القرار الذي جاء موفقا رشيدا .

ومن وراء ذلك كله حكمة الرسول الخبير باتجاهات النفوس .. والمعين لها على اتخاذ أصعب القرارات .. في أحرج اللحظات .. ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر عبد الله بمشاورتهم عند أول خطوة وقريبا من ديارهم وأهليهم وأولادهم في المدينة .. ولو قد فعل لغلبتهم نعومة المضاجع .. وأحاديث الأهل .. فلم تساعدهم أنفسهم على الانطلاق وجاذبية السلامة تشدهم شدا !

لكنه صلى الله عليه وسلم مع ارادة السرية .. قصد الى دمجهم في الدور .. بهذا السفر الطويل مقدار يومين .. والذي يعانون فيه شظف العيش .. ووحشة الطريق .. ليكون ذلك كله تدريبا وتهيئة للنفس التي دخلت منطقة الخطر فعلا .. وناهيك بالخطر باعثا على الفدائية والتضحية .

ويلاحظ أن السرية كانت من المهاجرين . ولم يكن فيها أنصاري واحد .. لماذا ؟

انهم الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق .. فهم أول من يصفي الحساب مع الذين أخرجوهم ظلما وعدوانا ..

ثم هم يخرجون أقوياء .. بلا حماية من الأنصار .. أهل المدينة .. ومعنى ذلك أن المهاجرين لم يعودوا مستضعفين كما كانوا .. بل هم أقوياء .. وها هم أولاء يتحركون في الميدان .. بلا منازع !

فاذا تصورنا قوة الأنصار الرابضين في المدينة مضافة الى هذه القوة أدركنا حكمة الرسول الرامية الى إرهاب الأعداء بهذه السرايا الخاطفة .. حتى لا تكون دماء ولا ضحايا ..

وأدركنا كذلك حنكة القائد الملهم . والذي لا يلقى بكل قواته على أرض المعركة دفعة واحدة .. وإنما يرسلها تترى .. على ما يقول سبحانه وتعالى : **(إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ..) يس /١٤ .**

الامتحان الصعب

كان من أهداف السرايا قبل غزوة بدر الكبرى ترويض النفوس على معايشة أصعب المواقف ..

وقد حدث شيء من ذلك في سرية عبدالله حين (أضل سعد بن أبي وقاص . وعتبة بن غزوان بعيرا لهما . كانا يعتقبانه . فتخلفا عليه في طلبه) .

وكان المتوقع أن تحدث هذه المفاجأة ربكة في خطة السرية .. ولكن الأمير مضى كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فليبحث سعد وعتبة عن بعيرهما الغائب .. ولتمض السرية في خطها المرسوم .

(ومضى عبدالله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة) .

ولا تغيب عنا صورة المعاناة التي فرضت على كل اثنين أن يتناوبا ركوب بعير واحد .. ومعنى ذلك أن يمشي كل واحد يوما كاملا في هجير الصحراء ..

وأنت خبير برحلة العودة وما تفرضه من إرهاق .. إلى جانب الجهد المبذول في إنجاز المهمة الأساسية . والتي من أجلها كانت السرية .

وجاءت ساعة الصفر حين مرت بالسرية عير لقريش تحمل زبيبا وأدما . وتجارة من تجارة قريش . فيها عمرو بن الحضرمي .

إذن فقد حانت الفرصة لتصفية الحسابات القديمة مع قريش ! .

قريش التي صادرت ممتلكات المهاجرين .. بل حاصرت في مكة أولادهم وحالت بينهم وبين رؤياهم .. وبكل المقاييس .. فمن حق هؤلاء المهاجرين أن يستردوا أموالهم .. وقبل ذلك أن يؤدبوهم في لحظة ماكانت تخطر لقريش على بال !

وثارت غرائز التملك .. والثأر .. راغبة في التعبير عن نفسها في فرصة قد تذهب ولا تعود !

عنق الزجاجة

لم يملك أمير الجماعة أن يفرض على زملائه رأيه .. وانما كان أمرهم شورى بينهم .. لم يرد أن يكون زملاؤه أصفارا على الشمال .. ولقد كان له مبرر لو فعل : فهو المفوض من قبل الرسول أن يكون أميرا على الجماعة .. لكن الامارة لا تمنحه سيطرة تكبت الآراء .. وتنسف في قلوب الشباب إرادة الاستقلال .. وعنصر الرجولة الفعال ..

بدأت الشورى :
قال القوم فيما بينهم : (والله لئن تركتم القوم ـ أي تجار قريش ـ هذه الليلة . ليدخلُن الحرم . فليمتنعُن منكم به . ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام وكان ذلك آخر يوم في رجب . وكان الاختيار صعبا .. ومع

ذلك لم يطل تردد عبدالله بن جحش ومن معه فقرروا قتل من قدروا عليه منهم . وأخذ ما معهم . فرمى « واقد

إبن عبدالله » « عمرو بن الحضرمي » بسهم فقتله .. وأقبل عبدالله ومن معه

بالعير .. وأسيرين . حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة) .

مضاعفات التسرع

غضب الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . ان وظيفة السرية محددة : رصد تحركات قريش . والوقوف على أخبارهم .. فلحساب من تصعيد الموقف .. حتى كنتم كما يقولون : ملكيين أكثر من الملك ؟! وغضب اخوانهم من الصحابة أيضا فعنفوهم فيما صنعوا .

لحظة الندم

وأسقط في أيدي السرية وظنوا أنهم قد هلكوا .. وأفاقوا على الحقيقة الواضحة : وهي أنهم تجاوزوا الحد .. ولم يشفع لهم أنهم مخلصون

فدائيون .. فلكي يبقى الاخلاص لابد من تتويجه بالالتزام بطاعته صلى الله عليه وسلم . والأخذ في الاعتبار مصلحة الدعوة التي قد تضرها الرصاصة الطائشة .. تطلقها يد راعشة منفعلة ..

الاعلام المعادي يشن حملته

انتهزت قريش فرصة تورط المسلمين في القتال خلال الشهر الحرام .. وشنوا حملة اعلامية يراد بها ابراز المسلمين في صورة المعتدي الذي لا يحترم المواثيق وقالوا : (قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام . وسفكوا فيه الدم . وأخذوا فيه الأموال . وأسروا فيه الرجال) .

ووقفت قريش تبكي على الأطلال .. على حرمة الشهور التي انتهكت .. وجعلوا من عمرو بن الحضرمي حائط المبكى !

وكان لليهود اعلامهم الموجه والمصبوغ بالشماتة . والخبث . فقالوا فرحين معرضين بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه : « عمرو بن الحضرمي » قتله « واقد بن عبدالله » ويعني ذلك : عمرو .. عمرت الحرب . والحضرمي .. حضرت الحرب . وواقد بن عبدالله .. وقدت الحرب !

القرآن يحسم المعركة

شاءت حكمة الله تعالى ألا يضيع هذا الشباب المؤمن تحت رحمة المعتدين الذين يقتلون القتيل .. ثم يتباكون في جنازته !

وصحيح أن الشباب أخطأ .. ولكنه خطأ الممارسة لا خطأ القصد .. فاذا جاء المغرضون اليوم ليجعلوا من الحبة قبة .. فقد آن أوان نصر الله والفتح .. بما أنزل من القرآن شفى به صدور المؤمنين بقدر ما كشف به نوايا المغرضين .. نزل قوله تعالى :

(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن

دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) البقرة/٢١٧، ٢١٨ .

(وقد صرح هذا الوحي بأن الضجة التي افتعلها المشركون لاثارة الريبة في سيرة المسلمين لا مساغ لها . فان الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الاسلام . واضطهاد أهله . ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين تقرر سلب أموالهم وقتل نبيهم ؟ فما الذي أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة . فأصبح انتهاكها معرة وشناعة ؟ لا جرم أن الدعاية التي أخذ ينشرها المشركون دعاية تبتني على وقاحة ودعارة) .

من خصائص الاعلام الاسلامي

يعترف الاعلام الاسلامي بالواقع المذنل .. ثم ينطلق بالحقيقة يدمغ بها الباطل .. مع ملاحظة الأساس الأخلاقي لهذا الانطلاق .. وضرورة الحذر وأخذ الاحتياط ..

وهذا ما أشارت اليه الآيات الكريمة : اعترفت الآيات أولا بأن الشباب اخطأوا حين قتلوا في الشهر الحرام ..

لكنها تحاكم المشركين بخاصة وبنفس المقياس .. وكأنما تقول لهم : سلمنا بأن المسلمين ارتكبوا كبيرة .. فأنتم اذن أكبر اثما وأعظم خطيئة : صددتم عن سبيل الله تعالى .. وكفرتم به سبحانه .. وبالمسجد الحرام .. وأخرجتم أهله من ديارهم وأموالهم .. وطالما حاولتم فتنة المسلمين عن دينهم . حتى تردوهم إلى الكفر بعد الايمان .. بل مازلتم مصرين على فتنتهم .حتى يصير كفرهم حقيقة واقعة :

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)

وعندئذ أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سراح الأسيرين المشركين : عثمان بن عبدالله . والحكم بن كيسان . وأدى دية المقتول الى أوليائه . واضعا الأخلاق الطيبة أساسا للتعامل حتى مع أعدائه الذين لم ير المسلمون منهم يوما يبكون عليه .

ومع هذا الاساس الأخلاقي فقد كانت للكياسة كلمتها وقتئذ : فلم يشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطلق سراح الأسيرين المشركين الا بعد عودة « سعد بن أبي وقاص » و « عتبة بن غزوان » وكان بعيرهما قد ضل وذهبا في طلبه ولم يعودا حتى لحظة المفاوضات على فداء الأسيرين المشركين .. وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم كما روى ابن اسحاق : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا . فانا نخشاكم عليهما . فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم . فقدم سعد وعتبة . فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم) وهذه الحكمة في

تناول الأمور توفر على الأمة كثيرا من الحمـلات الاعلاميـة التي تستنفد الجهـد والوقت . لتصـرفها فيمـا يجدي .

السرية تحقق أهدافها

حققت سرية عبدالله بن جحش أهدافها .. وانحسر الاعلام المعادي كالرغوة العائمة التي ذهبت جفاء .. (وأما ما ينفـع الناس فيمكث في الأرض) .

١ ـ عاد أفراد السرية كما كانوا أبرياء صلحاء .. استعدادا للجولة الحاسمة في بدر الكبرى .

يقول ابن اسحاق :
(فلما تجلى عن عبدالله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حـين نزل القرآن . طمعوا في الأجر فقالوا : يارسول الله:أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطي فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عزوجل فيهم : (**إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم**) . فوضعهم الله عزوجل من ذلك على أعظم الرجاء .

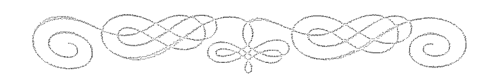
ومعنى ذلك : فشل الاعلام المعادي في إضعاف روح القتال في ضمير الجيش الذي لم يستسلم . ولم يمكن الأعداء من هزيمته نفسيا .

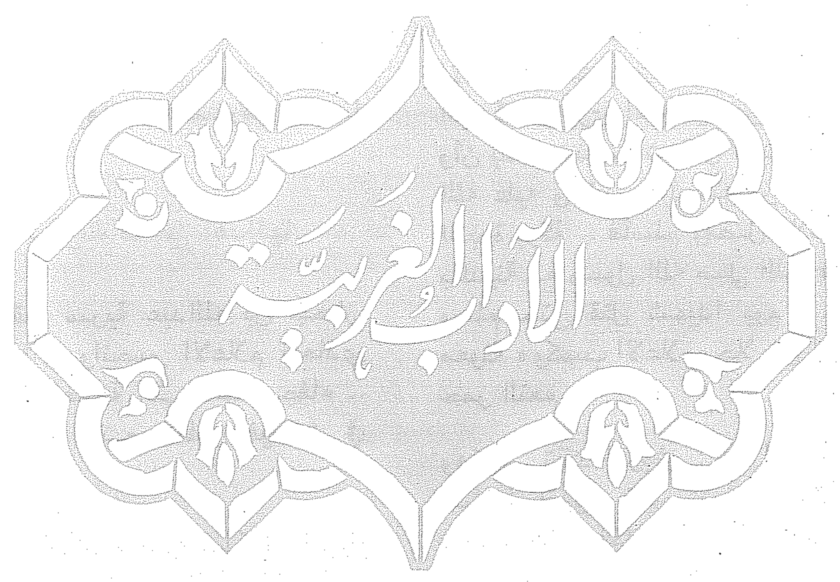
٢ ـ كان الحكم بن كيسان أحد الأسيرين المشركين .. وفي مدة الأسر أتيح له أن يرى المسلمين عن كثب .. وأن يلمس بنفسه شمائل النبي صلى الله عليه وسلم . فأدركته من جلال النبوة بركة .. فأسلم وفضل الاقامة بالمدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل شهيدا يوم « بئر معونة » وكسب الاعلام رجلا خيرا من حمر النعم .

وهكذا . تأكد لقريش : أن المسلمين صاروا أقوياء قادرين عـلى قتلهم وحصارهم .. فكان أن نصر الله تعالى اولياءه بالرعب .

٣ ـ يقول ابن القيم تعقيبا عـلى السرية :

(والمقصود أن الله سبحانه حكم بين أوليائه واعدائه بالعدل والانصاف . ولم يبرىء أولياءه من ارتكاب الاثم بالقتال في الشهر الحرام . بل أخبر أنه كبير . وأن ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام . فهم أحق بالـذم والعيب والعقوبة .
لا سيما وأولياؤه كانوا متأولين في قتـالهم ذلك . أو مقصـرين نـوع تقصير . يغفر الله لهم في جنب مافعلوه من التوحيـد والطـاعـات . والهجرة مع رسوله وايثار ما عند الله) .





وحديث الإسراء والمعراج

للاستاذ/ منذر شعار

ليس هذا الكلام وهما ، أو غرورا ، ولكنه الحقيقة التي اثبتها مؤرخو الآداب في أوروبة انفسهم ، فقد قال « ماكييل » وهو يحاضر الغربيين عن الشعر الاوروبي :

« إن اوروبة مدينة لبلاد العربية بنزعتها المجازية الحماسية » والمجاز روح الأدب ، وهو طريقة العرب في مخاطباتهم وكلامهم ، وبذلك نزل القرآن .

ويعني ماكييل بالحماسية (العاطفة) ، ولا أدب بدون عاطفة ، وكان أهل الغرب قبل اتصالهم بالعرب يتكلمون بلا مجاز وبلا عاطفة ، أي :

بلا أدب ، فتعلموا ذلك من العرب ، فنشأت عندهم الرومانسية ، أو الروماتيكية ، او الابداعية ، فبرزوا في ساحات الآداب من يومئذ .

ورأي بعض علمائهم ـ ولا سيما الدكتورة زيغريد هونكةـ انه لا يمكن

أن يكون أدب بلا (امرأة) ، يتوجه إليها الأديب بحبه واشواقه ، فيرتفع ويحلق ، إذ الادب صورة الحياة ، والحياة جامدة مبتورة إن اختل فيها عنصر المرأة ، وكان الغربيون قساة منكرين لحق المرأة لا يرونها شيئا ويحتقرونها ولا يتوجهون اليها إلا بكل استصغار ، فلما اتصلوا بالعرب تعلموا منهم - فيما تعلموا - إكبار المرأة ، والتوجه إليها بالشوق ، فكان عندهم أدب .

وكانت أكبر الوسائل لذلك شعراء (التروبادور) في اسبانية وجنوب فرنسا وهم ، حتى باشتقاق اسمهم ، عرب في الاتباع كليا ، إذ التروبادور مشتقة من الطرب .

ولكن أعظم شيء في هذا التأثير وجعل الاوربيين يترسخون في الادب هو « الكوميديا الالهية » لدانتي ، وهي المسرحية التي طارت شهرتها في الغرب والشرق والفها « إليجيري دانتي » في ايطاليا في القرن الرابع عشر الميلادي تقريبا ، وسماها الكوميديا الالهية لان فيها وصف الجنة والنار يوم القيامة ، فإن دانتي يتخيل انه رحل إلى العالم الآخر ، ومعه دليل ، فزار الجنة وزار النار ورأى من شئونهما ، ووصف ذلك . ثم عاد إلى حياته الدنيوية .

وقد استعمل دانتي في هذه المسرحية التي سماها/ الكوميديا الالهية/ لغة **المجاز** ، وكان فيها ، كما يرى ، كل **الخيال** ، واقترب فيها اقترابا قويا من **الرمز** ، وتغطى كل تعبير فيها وكل مشهد بلحاف خلاب من **العاطفة** ، وكل ذلك اساس في الادب .

وكان ذلك جديدا على (العمل الادبي) الغربي ، فأقر جهابذ الغربيين يومئذ ان الكوميديا الالهية لدانتي هي اصل الآداب الاوروبية ، فقد تعلم الغربيون منها طريقة التعبير الادبية ، وفشا فيهم عامة وفي أدبائهم خاصة نازع المجاز والخيال والرمز والحماسة أو العاطفة ، وظلوا على ذلك زمنا ، حتى نجم فيهم ، من انفسهم ، من يقول إن دانتي حين ألف الكوميديا الالهية إنما تأثر أبا العلاء المعري الذي ألف قبله بقرون رسالة الغفران وفيها يتخايل صديقه ابن القارح بعث بعد الممات وحضر القيامة ودخل الجنة واطلع على النار ورأى من فيهما من الادباء والشعراء .

ثم حدثت الضجة الكبرى ، ورميت القنبلة ، عام ١٩١٩ حيث ألقى المستشرق الاسباني أسين بلاثيوس كلمته العلمية في جلسة الاكاديمية الملكية الاسبانية فأعلن فيها ان دانتي إنما تأثر قصة الاسراء والمعراج الاسلامية وهو يؤلف كوميدياه ، وبث تعاليم الاسلام بتفاصيلها في ثنايا حديثه عن الجنة والنار ، وقد حدث رد فعل كبير في اوروبة عامة وفي ايطاليا خاصة على هذا الاعلان الشديد ، وفجع الايطاليون وأهل الغرب عامة برائد أدبهم وبأدبهم ، أن كان ذلك كله من أثر (تقليدهم) للعرب والمسلمين . فألفوا ردودا في دحض كلام بلاثيوس ، ولكنه رد عليهم هو ايضا ردا قويا ... واصدر نشرات في ذلك في الاربعينات من هذا القرن ، ولكن بلاثيوس والغربيين كلهم .. كان

يتردد في نفوسهم سؤال .. ، ان التشابه بين مسرحية دانتي وبين حديث الاسراء والمعراج كبير جدا ، حتى ليتبين لكل ذي عينين وعقل ان دانتي نقل نقلا عن المسلمين وتأثرهم جدا ،

ولكن الغربيين مولعون بالماديات في أدلتهم ، وبالتجريد ، وبالالحاح ، فكانوا بعد إعلان بلاثيوس يريدون دليلا يبين لهم : هل كانت قصة الاسراء والمعراج الاسلامية منتشرة في أوروبة قبل دانتي وفي أيامه ؟ وهل كانت مترجمة حتى نطمئن كل الاطمئنان إلى أنه أخذ منها ، فيجتمع البرهان عليه من جانبيه : التشابه في النص مدهش ، والقصة الأولى الاسلامية كانت بين يدي دانتي وهو يؤلف كوميدياه .

والحقيقة ان بلاثيوس نفسه ، مات ولم يتوصل إلى هذا الدليل ، حتى نجم عالمان غربيان ، بعد موت بلاثيوس ، فأثبتا ـ في عام ١٩٤٩م ـ وكان قد مضى على وفاة بلاثيوس خمس سنوات ـ ان قصة الاسراء والمعراج الاسلامية كانت منتشرة بلغات اوروبية أيام دانتي نفسه .

وهذان العالمان كانا يعملان منفصلين للغرض نفسه ، أما أحدهما فهو ايطالي : واسمه : « انريكو اتشرولي » ، نشر في اواخر الاربعينات من هذا القرن الترجمتين : اللاتينية والفرنسية لكتاب عربي في (المعراج) كان (إبراهام الحكيم) ـ وهو عالم عندهم ـ قد ترجمه من العربية الى الاسبانية القشتالية ، بأمر من ملك قشتالة وليون (الفونسو العاشر) الذي كان يقال له (الفونسو الحكيم) لعنايته بالآداب والعلوم ، وإثابته عليها .

وإذن فإن ابراهام الحكيم هو أول من ترجم حديث المعراج الاسلامي إلى القشتالية الاسبانية ، ثم جاء بعده (بونافنتورا داسيينا) فترجم القصة إلى اللاتينية والفرنسية في القرن الثالث عشر .

وحين نشر العالم انريكو اتشرولي هاتين الترجمتين اضاف ملحقا بين فيه الشواهد الدالة على معرفة « كتاب المعراج » في المجتمعات الاوروبية حتى القرن الخامس عشر .

وأما الثاني فهو خ : مينوز ساندينو ، ونشر في الوقت نفسه الترجمات الثلاث لقصة الاسراء والمعراج الاسلامية باللغات الثلاث : الاسبانية والفرنسية واللاتينية ، مع شروح وتعليقات .

والخلاصة ان هذه الترجمات وجدت في اوروبة قبل ميلاد دانتي بسنة .

وقد تساءل اتشرولي نفسه : هل عرف دانتي قصة الاسراء والمعراج الاسلامية ؟ وللاجابة على هذا السؤال لاحظ ما يلي :

١ ـ الكاتب الغربي : « فازيو ديلي اوبرتي » وكان يعيش بعد دانتي بعشرات السنين كان يعرف (كتاب المعراج) واقتبس منه .

٢ ـ احدى وقائع المعراج النبوي الشريف في الجنة ظهرت في قصة انتشرت في (بيزا) بايطاليا في القرن الرابع عشر .

٣ ـ كتاب المعراج انتشر في ايطاليا لمدة طويلة ، حتى إن الباحثين وجدوا ان علما كروبرتو كرتشيولو في القرن الخامس عشر يشير إليه بصراحة ويقتبس منه .

٤ ـ وإن المخطوطات التي استند اليها اتشرولي في نشرته : نسخت إحداها في بريطانيا والثانية في أفنيون والثالثة في نورماندي وهذا يدل على سعة انتشار الكتاب خارج اسبانيا ، بعد ترجمته بسنوات قليلة ، فمن غير المعقول الا يكون منتشرا جدا في ايطاليا وهي أول بلد أوربي نهض ، والا يكون دانتي الاديب الكبير قد اطلع عليه .

ولكن ما أوجه التشابه بين قصة الاسراء والمعراج الاسلامية وبين الكوميديا الالهية لدانتي ؟ لقد لاحظ الكتاب والأدباء ما يلي :

١ ـ كان الغربيون قبل دانتي قد ألفوا قصصا في الرحلة الى الجنة والنار ، وكان فيها (دليل) يدل بطل القصة على الطريق ، ويفسر له المناظر ، ويفعل ذلك فقط، لكن الدليل في حديث الاسراء والمعراج هو سيدنا جبريل عليه السلام ، وكان دوره مختلفا عن ذلك ، اذ كان جبريل عليه السلام ـ في الحديث ـ يحاور النبي صلى الله عليه وسلم ويفسر له كثيرا من القضايا في الرحلة وفي التوحيد والكون كله ، وفي جزئيات من الدين تتصل بيوم الحساب والعالم الآخر ، وفي الصراط ، وفي قدر الجنة مساحة وحجما ، وفي مقادير ما بين السموات وما بينها وبين الارض ، ويتكلم في أمور كثيرة ..

وكل هذا لم يكن موجودا في كتب الغربيين الموسومة باسم (الرحلة الى العالم الآخر) وهو موجود كله في (الكوميديا الالهية) لدانتي ، بحذافيره ، مما يدل على اقتباس دانتي من الاسلام واخذه التفاصيل اخذا متتبعا .

٢ ـ والتشابه الثاني بين الكوميديا الالهية وبين حديث الاسراء والمعراج الاسلامي ، عناية كليهما (بالجغرافيا الفلكية) ، وهو امر لم يكن معتنى به ألبتة في الكتب المشابهة قبل دانتي .

٣ ـ والغريب في الكوميديا الالهية ... ان فيها كلمات وتعبيرات غير مفهومة . وكأنها حكاية لغة اخرى غريبة على الاوربيين الذين اطلعوا على الاسراء والمعراج المحمدي عن طريق القشتالية والفرنسية ثم الايطالية ، وكانت تلك التعبيرات والكلمات الغريبة تمر صفحا ثم درسها العلماء فراعهم انها مأخوذة عن اللغة العربية .

وكان دانتي إذاً يردد احيانا ما يأخذه من النص العربي أخذا حرفيا لا مباشرة،ولكن عن طريق ما قرأه باللاتينية والاسبانية والفرنسية ، محافظا عليه هناك ايضا باللفظ .

٤ ـ وكان في كتاب المعراج الاسلامي الذي ترجم إلى اللغات الغربية ذكر لديك كبير يسبح الرب تبارك وتعالى هذا الديك صار (نسرا) في الكوميديا الالهية ، ودوره هو دور الديك المعراجي نفسه ، يسبح الله تعالى

وينادي بتسبيحه ، وهو إذن يختلف عن النسر الوارد ذكره في بعض أناجيل النصارى وأسفار اليهود ، إن دانتي جعله نسرا بالاسم لكن دوره هو دور ديك المعراج ، حرفا بحرف ، ويدل ذلك على تأثره الكامل بالحديث الشريف .

٥ ـ وطريقة العروج في الحديث الشريف هي طريقة العروج عند دانتي نفسها ، وقد يعترض ناس فيقولون انه ورد في (سفر التكوين) ذكر (سلم يعقوب) ، ولكن المتعمق في الكوميديا الالهية يلمس بوضوح ان دانتي انما استلهم في عمله (كتاب المعراج) لا (سفر التكوين) ، لأن الجزئيات واحدة . والروح هي هي والامر واحد قطعا .

٦ ـ وكذا الصراط ، في المفهوم الاسلامي وصراط الكوميديا الالهية ، إنه نفسه ، وإن دانتي ينقل بالحرف ، شيئا لم يكن قومه يعرفونه ، إنه قرأ الحديث الشريف واقتبس منه حتما .

٧ ـ وثمة تشابهات كثيرة في التفاصيل ، لا حصر لها يؤكد ان دانتي عرف حديث الاسراء والمعراج وتأثره حين ألف .

ولكن يجب ان يعلم ان (كتاب المعراج) الذي امر الفونسو العاشر بترجمته الى القشتالية الاسبانية لم

يكن الا الحديث الشريف عن قصة الاسراء والمعراج بشرح محيي الدين ابن عربي ، اي : كتاب المعراج الذي عرفه الغربيون كان جزءا أو حيزا من كتاب (الفتوحات المكية) لابن عربي ، وكذا عرف الغربيون ، منذ وقت مبكر من نهضتهم (مناظرة الفيلسوف الكندي) ، (وحوار عبدالله بن سلام رضي الله عنه) ، ونشر ذلك في اسبانيا في مجموعة سميت بمجموعة طليطلة .

وفي هذا كله ذكر لتفصيلات حول الاسراء والمعراج الاسلامي أو قل فيه ذكر للتصورات الاسلامية للعالم الاخر ، وقد وجد ذلك بالحرف ، وبكل الدقة ، في الكوميديا الالهية لدانتي .

وإذا ـ كما يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي ـ أصبح من الثابت الآن ان دانتي ، شاعر اوربا الاكبر ، قد تأثر الى مدى بعيد عميق ، وهو يؤلف الكوميديا الالهية ، بالاسلام وبالتصورات الاسلامية للآخرة .

والغربيون يرون ان تلك الكوميديا الالهية هي سبب الاداب الاوروبية أجمع ، أو هي المنار المشع في ظلمات أولياتها البدائية ... وإذا فالعرب والمسلمون ... هم سبب آداب الغربيين ، وإذن يحق لنا ان ننشد هذا القول الجميل الصادق :

إذا نظرت عيناك مجدا مؤثلا
بأية أرض فهو مقتبس منا
وما مات فينا ارثنا من « محمد »
ولا نسيت آذاننا ذلك اللحنا

ولسنا نبالي الصاعقات من الردى
إذا نحن صدقنا الرسول وآمنا

في ذكرى الإسراء والمعراج

للأستاذ / محمود شاور ربيع

عجبا له ركب « البراق » وطارا يطوى القفار ويقطع الأقطارا
كالبرق يمضي في ضياء خالص والنور يجمع حوله الأنوارا
« بالمسجد الأقصى » يؤم صحابه رسلا ، كراما ، سادة ، أبرارا
ويظل « يعرج » في السماء محييا سكانها ويسابق الأقمارا
والكل يزجى « للحبيب » تحية والكل يلمس للحبيب إزارا
ويظل يعلو « والأمين » بركبه حتى دنا متفردا مختارا
ومضى يحيى والكريم يحوطه بعطائه ، ويزيده إكبارا
وعليه قد فرض « الصلاة » تقربا وحباه فضلا دائبا مدرارا
قد عاد يسأل ربه في رحمة يأتي ويمضي بالرجاء مرارا
حتى غدت « خمسا » وزيد ثوابها فأتى بها للعالمين منارا
وسعى يقص على الجموع حديثه ويردد الأنباء والأخبارا
فارتد عن دين الإله عصابة وسعت هناك تساند الكفارا
وأتى « ابو بكر » يصدق « أحمدا » ويرد عنه الكيد والإنكارا
إني أصدقه على وحي السما صدق الأمين لقد رأى الأسرارا
الله قربه ، وأعلى شأنه فدعاه للعرش الكريم فسارا
ورأى هنالك مارأى بمحبة والله جلى دونه الأستارا
مازاغ من بصر هناك وماطغى شهد الرياض وعاين الأنهارا
ورأى النعيم لمن تحنف واهتدى ورأى العذاب لكافر والنارا
صلي عليك الله يانورا سرى وكسيت ياخير العباد فخارا
لا تعجبوا للنور يسري هاديا يطوي القفار ويقطع الأقطارا
كالبرق يمضي في ضياء خالص فالنور يجمع حوله الأنوارا

الإسراء والمعراج

يقصد بالإسراء الرحلة العجيبة التى بدأت من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس . ويقصد بالمعراج ، ما أعقب هذه الرحلة من ارتفاع فى طباق السموات حتى الوصول إلى مستوى تنقطع عنده علوم الخلائق ولا يعرف كنهه أحد ، ثم الأوبة – بعد ذلك – إلى المسجد الحرام بمكة . وقد أشار القرآن الكريم إلى كلتا الرحلتين فى سورتين مختلفتين . ذكر قصة الإسراء وحكمته بقوله :

« سبحانَ الذى أسرى بِعَبْدِهِ ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى الذى باركْنا حولَه لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إنه هو السميعُ البصيرُ » .

وذكر قصة المعراج وثمرته بقوله :

« ولقد رآه – يعنى جبريل – نَزْلَةً أخرى * عندَ سدرةِ المُنْتَهَى * عِنْدَها جنةُ المأوى * إذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى * ما زَاغَ البَصَرُ وما طَغَى * لقد رأى من آياتِ رَبِّه الكُبْرَى » .

فتعليل الإسراء – كما نصَّت الآية – أن الله يريد أن يُرِىَ عبده بعض آياته .

ثم أوضحت آيات المعراج ، أن الرسول عليه الصلاة والسلام شهد – بالفعل – بعض هذه الآيات الكبرى .

وقد اختلف العلماء – من قديم – : أكان هذا السُّرى الخارق بالروح وحده .

أم بالروح والجسد جميعاً ؟ والجمهور على القول الأخير .

وللدكتور هيكل رَأىٌ غريب . فقد اعتبره استجماعاً ذهنيا ونفسياً لوحدة الوجود من الأزل إلى الأبد ، فى فترة من فترات التألّق النفسانى الفذّ ، الذى اختُصّ به بشر نقىٌّ جليل مثل محمد صلى الله عليه وسلم . وفى إبان هذا التألّقِ الذى استعلى به على كل شىء — استعرض حقائق الدين والدنيا ، وشاهد صور الثواب والعقاب . . . الخ .

فالإسراء حق . . وهو ـ عنده ـ روحىّ لا مادّىٌّ . ولكنه فى اليقظة لا فى المنام . فليس رؤيا صادقة كما يرى البعض . بل هو حقيقة واقعة على النحو الذى صوّره ، ثم قال فيه بعدئذ : « وليس يستطيع هذا السموّ إلا قوة فوق ما تعرف الطبائع الإنسانية » .

والحق، أن الحدود بين القوى الروحية والقوى المادية، أخذت تضمحلّ وتزول ، وأن مايراه الناس ميسوراً فى عالم الروح ليس بمستوعر فى عالم المادة .

وأحسب أنه بعد ما مزّق العلم من أستار عن أسرار الوجود ، فإن أمر المادة أضحى كأمر الروح ، لا يعرف مداه إلا قيُّوم السموات والأرض .

وإن الإنسان ليقف مشدوهاً ، عند ما يعلم أن الذرة تمثل فى داخلها نظام المجموعة الشمسية الدوّارة فى الفلك . وأنها — وهى هباءة تافهة — تكمن فيها حرارة هائلة، عند ما أطلقت ، أحرقت الأخضر واليابس . .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم أُسْرِى به وعُرِجَ . كيف ؟ هل ركب آلة تسير بأقصى من سرعة الصوت كما اخترع الناس أخيراً ؟

لقد امتطى البراق — وهو كائن يضع خَطْوَهُ عند أقصى طرفه ، كأنه يمشى

بسرعة الضوء . وكلمة « براق » تشير اشتقاقها إلى البرق ، أى أن قوة الكهرباء سخرت فى هذه الرحلة .

لكن الجسم ـ فى حالته المعتادة ـ يتعذر عليه التنقل فى الآفاق بسرعة البرق الخاطف ، لابد من إعداد خاص ، يحصن أجهزته ومسامه لهذا السفر البعيد .

وأحسب أن ماروى عن شق الصدر ، وغسل القلب وحشوه ، إنما هو رمز هذا الإعداد المحتوم ... وقصة الإسراء والمعراج مشحونة بهذه الرموز ، ذات الدلالة التى تدق على السذج :

إن الإسراء والمعراج ، وقعا للرسول عليه الصلاة والسلام بشخصه . فى طور بلغ الروح فيه قمة الإشراق وخفت فيه كثافة الجسد حتى تفصّى من أغلب القوانين التى تحكمه .

واستكناه حقيقة هذه الرحلة ، وتتبع مراحلها بالوصف الدقيق ، مرتبط بإدراك العقل الإنسانى لحقيقة المادة والروح ، وما أودع الله فيهما من قُوى وخصائص !

ولذلك سنتجاوز هذا البحث إلى ماهو أيسر وأجدى ، أى إلى تسجيل المعالم المتصلة بالإسلام باعتباره رسالة عامة وتشاريع محدّدة .

وقصة الإسراء والمعراج ، تهمنا من هذه الناحية .

ألم تر أن « علم النفس » لم يستبحر و ينطلق إلا يوم تحرّر من البحث فى الروح والخبط فى مدلولها ؟ ؟ .

* * *

لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس ، ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة ؟

إن هذا يرجع بنا إلى تاريخ قديم . فقد ظلت النبوات دهورا طوالا وهى وقف على بنى إسرائيل . وظل بيت المقدس مهبط الوحى ، ومشرق أنواره على الأرض ، وقصبة الوطن المحبّب إلى شعب الله المختار .

فلما أهدر اليهود كرامة الوحى وأسقطوا أحكام السماء ، حلَّت بهم لعنة الله ، وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد ! ومن ثَمَّ كان مجيء الرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم انتقالا بالقيادة الروحية فى العالم ، من أمة إلى أمة ، ومن بلد إلى بلد ، ومن ذرية إسرائيل ، إلى ذرية إسماعيل .

وقد كان غضب اليهود مشتعلا لهذا التحوُّل ، مما دعاهم إلى المسارعة بإنكاره « بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُم أن يكفُرُوا بما أَنزَلَ اللهُ بغْياً أن ينزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِه عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عباده . فباءوا بغَضَبٍ على غضبٍ » .

لكن إرادة الله مضت . وحملت الأمة الجديدة رسالتها . وورث النبىُّ العربىّ تعاليم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب . وقام يكافح لنشرها وجمع الناس عليها . فكان من وصل الحاضر بالماضى ، وإدماج الكل فى حقيقة واحدة ، أن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين فى الإسلام ، وأن ينتقل إليه الرسول فى إسرائه . فيكون هذا الانتقال احتراما للإيمان الذى درج ـ قديما ـ فى رحابه . . .

ثم يجمع الله المرسلين السابقين من حملة الهداية فى هذه الأرض وماحولها ليستقبلوا صاحب الرسالة الخاتمة . إن النبوات يصدق بعضها بعضا ، ويمهد السابق منها اللاّحق ، وقد أخذ الله الميثاق على أنبياء بنى إسرائيل بذلك .

« وإذْ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ النبيِّين لمَا آتَيْتُكم من كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مُصدِّقٌ لما معَكُمْ لتؤمِنُنَّ به ولتَنْصُرُنَّه قال : أأَقْرَرْتم وأخذتم على ذلكم إِصْرِى ؟ قالوا : أقْرَرْنا . قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » .

وفى السنة الصحيحة أن الرسول صلىّ بإخوانه الأنبياء ركعتين فى المسجد الأقصى . فكانت هذه الإمامة إقراراً مبينا بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه ، أخذت تمامها على يد محمد بعد أن وطّأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين .

والكشف عن منزلة محمد صلى الله عليه وسلم ودينه ، ليس مَدْحاً يُساق فى حفل تكريم . بل هو بيان حقيقة مقررة فى عالم الهداية ، منذ تولّت السماء إرشاد الأرض ، ولكنه جاء فى إبانه المناسب .

فإن جهاد الدعوة الذى حمله محمد صلى الله عليه وسلم على كواهله ، عرّضه لعواصف عاتية من البغضاء والافتراء . ومزق شمل أتباعه ، فماذاقوا ــ مذ آمنوا به ــ راحة الركون إلى الأهل والمال وكان آخر العهد بمشاق الدعوة ، طرد « ثقيف » له ، ثم دخوله البلد الحرام فى جوار مشرك . إن هوانه على الناس ــ منذ دعاهم إلى الله ــ جعله يجأر إلى رب الناس ، شاكيا راجيا . . .

فمن تطمين الله له ، ومن نعمائه عليه أن يهيئ له هذه الرحلة السماوية لتمسّ فؤاده المعنّى ببرد الراحة . وليشعر أنه بعيْن الله ، مذقام يوحده ويعبده ، ويعلّم البشر توحيده وعبادته . . .

كان يقول : « إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى »[1] فالليلةَ علم أن حظه من رضوان الله جزيل ، وأن مكانته بين المصطفَيْنَ الأخيار ، موطدة مقدّمة .

---

(١) تقدم فى خبر الطائف أنه حديث ضعيف .

إن الإسراء والمعراج يقعان قريبا من منتصف فترة الرسالة التى مكثت ثلاثة وعشرين عاما ، وبذلك كانا علاجاً مَسَحَ متاعب الماضى ، ووضع بذور النجاح للمستقبل .

إن رؤية طرَف من آيات الله الكبرى فى ملكوت السموات والأرض لهأثره الحاسم فى توهين كيد الكافرين ، وتصغير جموعهم ، ومعرفة عقباهم .

وقد عرف محمد فى هذه الرحلة أن رسالته ستنساح فى الأرض ، وتتوطن الأودية الخصبة فى النيل والفرات ، وتنتزع هذه البقاع من مجوسية الفرس وتثليث الروم .

بل إن أهل هذه الأودية سيكونون حملة الإسلام جيلا فى أعقاب جيل .

وهذا معنى رؤية النيل والفرات فى الجنة ، وليس معناه أن مياه النهرين تنبع من الجنة كما يظن السذج والبلهاء .

لقد روى الترمذى مثلا أن رسول الله قال : « إذا أُعطِىَ أحدكم الريحان فلا يردّه فإنه خرج من الجنة »[1] . فهل ذلك يدل على أن الريحان من الجنة ، ونحن نقطف أزهاره من الحقول والحدائق ؟

من كتاب فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي وخرج أحاديثه الشيخ / الألباني

---

(١) حديث ضعيف أخرجه الترمذى (٤/١٨) من طريق حنان عن أبى عثمان النهدى مرسلا و هذا مع إرساله فيه جهالة حنان هذا ، ولم يوثقه غير ابن حبان ، و لو صح الحديث لكان اللائق حمله على ظاهره وهو أن الريحان أصله من الجنة ولا يلزم منه أن مانقطفه منه من الحقول هو من الجنة أيضاً كما ظن المؤلف . ألا ترى أنه إذا قال إنسان لماء فى كأس: هذا من السماء لكان صادقاً وكان قصده معروفاً؟ فليتأمل . ونحو هذا يقال فيما صح عنه صلى الله عليه وسلم أن أربعة أنهار من الجنة . أى أصلها من الجنة ، لاأنها تنبع الآن منها .

القرآن الكريم

قال تعالى :

(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ۝ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ۝ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) .

من سورة يونس -
الآيات ٣٧ ـ ٣٩

الفرج القريب

قال الشاعر :

اذا اشتملت على اليأس القلوب
وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت
وأرست في مكانتها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها
ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك-على قنوط منك-غوث
يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت
فموصول بها الفرج القريب

مائدة القارئ

هل رأى محمد (صلى الله عليه وسلم) ربه ؟

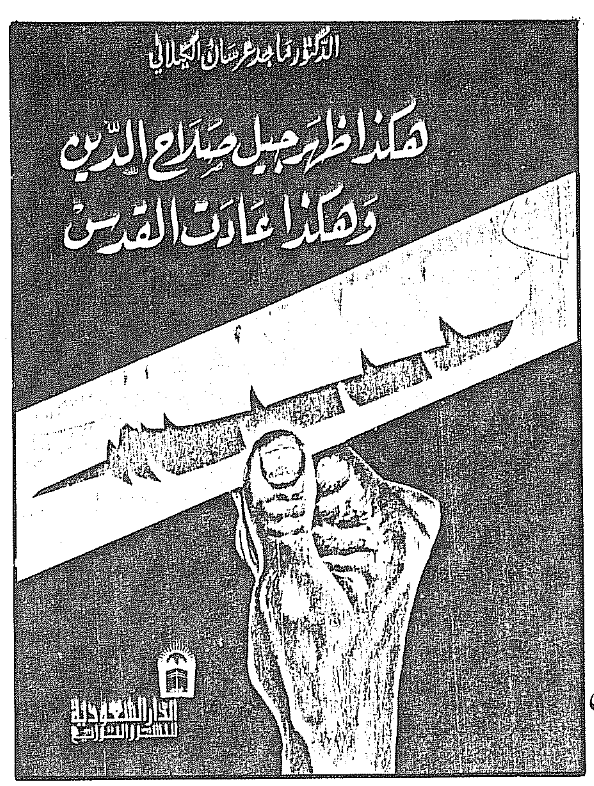
عن مسروق قال : قلت لعائشة رضي الله عنها يا أمتاه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ فقالت لقد قف شعري مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ، ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) ، ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ، ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية ، ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين . أخرجه البخاري .

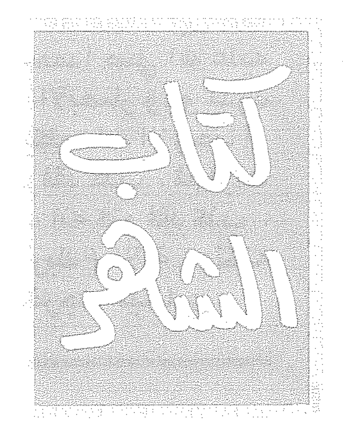
استعارة الكتب

استعار رجل من صاحبه كتابا ، فأعاره اياه وقال له : لا تكن في حبسك الكتاب كصاحب القربة ، قال : لا . ولا تكن في ارتجاعك الكتاب كصاحب المصباح . قال : لا . وكان من حديثهما أن رجلا استعار من رجل قربة على أن يستقي فيها مرة واحدة ثم يردها فاستقى فيها سنة ثم ردها اليه متخرقة . وأما الآخر فان رجلا ضافه ضيف من النهار فاستعار من جار له مصباحا ليسرجه لضيفه في الليل فلما كان بعد ساعة أتاه وطالبه برده . فقال له : أعرتني مصباحا لليل أو للنهار؟ قال : لليل . قال : فما دخل الليل .

من فضائل الصحابة

عن أنس - رضي الله عنه - قال : جمع القرآن على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - أربعة : كلهم من الأنصار : أبي ، ومعاذ بن جبل ، وأبوزيد ، وزيد بن ثابت .





تأليف الدكتور /
ماجد عرسان الكيلاني

جيل صلاح الدين

عرض الأستاذ : عبدالله خليل شبيب

○ **احتفلوا بحطين وصلاح الدين :**

مرت الذكرى الثمانمائة لمعركة حطين بقيادة صلاح الدين الايوبي رحمه الله ، تلك المعركة الفاصلة من معارك الاسلام التي يزدهى بها تاريخه والتي مهدت السبيل لتحرير بيت المقدس من براثن الصليبية الطامعة الباغية وتطهير بقية فلسطين والشام من آثار رجس الكفر والظلم كله صليبيا كان أو تتاريا أو تابعا لهما .

وكان لابد أن نقف أمام هذه الذكرى وصاحبها لتلمس العبر والفوائد من التاريخ - خصوصا

ونحن في مواجهة غزو صهيوني خبيث استطاع أن يجمع بين أصابعه القذرة كل خيوط الشر ، ويؤلب علينا كل قوى الشر العالمي فتجلب علينا بخيلها ورجلها ..

فكانت غزوة تتارية صليبية صهيونية حاقدة تستهدف مصيرنا ووجودنا وتستهدف أخس الوسائل لتدميرنا وتخترق صفوفنا وتضربنا بأيدي بعضنا البعض !

ويتطلع كثير من الطيبين إلى السماء مبتهلين إلى الله تعالى أن يرزقهم قائدا كصلاح الدين ، ويرى أو يعتقد كثيرون أنه لا تنقصنا إلا قيادة مخلصة حكيمة وأن هذا الجيل الموار بالاخلاص والوعي والرغبة في إعزاز أمة الاسلام وتوحيد صفوفها ومداواة عللها وتطبيق شريعتها وكف يد أعدائها عنها ... إنما تنقصه فقط قيادة ... أو قائد من صنف صلاح الدين مثلا ... وغاب عن كل هؤلاء أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لم ينزل من السماء وليس إلا ابن وقته وزمانه .

ولم يقم بكل ما قام به بمفرده ولم ينتصر وحده ... والناس متواكلون لا يريدون بذل جهد ولا تقديم تضحية ! ... وإنما كان مع صلاح الدين رجال يناسبونه ... وانبتته بيئة تغيرت ، وقضى على جيوب الخيانة التي كانت متصارعة « شاور وغيره في مصر وغيرها » وكان بعضها متعاونا مع الأعداء الصليبيين ..

وقضى على الخلل الفكري والردة الباطنية فحرر مصر من الحكم العبيدي الذي ران عليها دهرا طويلا ببدعه وخرافاته وحركاته الجنونية « كالحاكم بأمر الله وأمثاله » ووحد صلاح الدين كذلك قوى مصر والشام فأصبحت الجيوب الصليبية والمشبوهة بين فكي الرحى وطحنت واحدة تلو الاخرى ... وكان تحرير القدس ... الذي لم يأت اعتباطا ولا في ليلة واحدة .

○ ما قائدا ملهما نريد ولكن ..

وهذا ما أراد الدكتور ماجد عرسان الكيلاني توضيحه في كتابه القيم ...« هكذا ظهر جيل صلاح الدين ، وهكذا عادت القدس » ويرى الدكتور ماجد أن الاعتقاد بأن الحاجة فقط إلى قائد مسلم ملهم أمر وفهم خطر وضار لأسباب :/ أولها أنه يصطدم بالقوانين القرآنية التي تقرر ان التغيير إلى الأفضل أو الأسوأ لايحدث إلا إذا سبقه تغيير جماعي يقوم به « القوم » « الأفراد » لما بالأنفس من مفاهيم واتجاهات ، وأن آثار هذا التغيير تنعكس على ما بالقوم من أحوال سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية في المجالين الداخلي والخارجي بالقدر الذي يحدث به التغيير المذكور .

والسبب الثاني أن هذا الفهم يصرف الأنظار بعيدا عن الأمراض

ليظهر جيل مثلهم ... لا جيل يلعن آخره أوله ، ويكفر سلفه الصالح أو ينتقده ويثلبه وينظر إليه نظرة احتقار في الوقت الذي نحن فيه أحوج ما نكون إلى مثل هذه الآراء والرجال والمدارس والمناهج ... لننهض من كبوتنا بعيدا عن البدع المتلبسة بالشريعة ، وعن النزاع الفكري والحزبي والعقائدي ، وعن تشتيت الجهود بالتركيز على الخلافات والأمور البسيطة متناسين أهم أمر وهو تكوين الانسان المسلم الحق بجميع مواصفاته طبقا للكتاب والسنة والسيرة الشريفة بحذافيرها .

وكما درس الدكتور ماجد آثار الانحرافات فيما سبق ، تعرض كذلك لآثار التصحيح والتحول وتغير النفوس ، فبحث في الباب الرابع والاخير حول : « الآثار العامة لحركة الاصلاح والتجديد » فتحدث عن قيام الدولة الزنكية الرشيدة وسياستها في الاصلاح والتجديد والتقريب والتوحيد ، وعن إعداد الشعب إعدادا إسلاميا وتربويا شاملا وعسكريا ، وعن صبغ الدولة بالصبغة الاسلامية وتكامل القيادات السياسية والفكرية وعن رعاية الصالح العام وتوافر الأمن والعدل واحترام الحريات .

كما تحدث عن تعبئة القوى الاسلامية المتمثلة في : التعاون بين المدرسة القادرية والدولة الزنكية ،

وإعداد أبناء النازحين من مناطق الاحتلال الصليبي ، والعمل في المدارس النورية والصلاحية ، والمشاركة في ميادين السياسة والجهاد ، ونبذ التعصب المذهبي وتوحيد كلمة المذاهب .

كما تحدث عن ازدهار الاقتصاد وبناء القوة العسكرية والصناعة الحربية كما تحدث عن بناء الوحدة الاسلامية وتحرر المقدسات والأراضي المحتلة ، بل ومحاولة استئناف الفتوحات الاسلامية في أوروبا لولا تكبر ملك الموحدين في المغرب يعقوب ابن يوسف بن عبدالمؤمن وتمسكه بالشكليات التافهة .

وفي ختام الكتاب في الفصل العشرين يعرض المؤلف ثمانية من قوانين العمران « على حد تعبير ابن خلدون » أي السياسة والمجتمع والتاريخ ... وقد استخلص المؤلف هذه القوانين من تحليله للفترة التاريخية التي درسها وبسط القول فيها بوعي وصراحة وضرب أمثلة واقعية ملموسة ـ من التاريخ الماضي او الحاضر تؤكد ما يقول ... ووضع يديه على الجراح وعلى مواضع الداء إن كان هناك من معتبر أو من مجيب أو من قارىء واع أو إدارة مخلصة تريد الخير لمن تقود !

○ ثمانية قوانين تاريخية علمية لابد ان يتولاها فقهاء لا خطباء

ولنعرض باختصار تلك القوانين التي تحكم التاريخ لأهميتها ولحاجتنا الماسة لفقهها والعمل بموجبها :

١ ـ الدين أساس الحضارة لأنه يقدم المثل الأعلى ، ولكن لابد أن يتولى الدور الحضاري فيه الأذكياء « أولو الالباب » وليس غيرهم وهنا يلمح الى هجرة العقول .

٢ ـ لابد من توافق السلوك مع المبدأ لدى الذين يقودون الأمة بالاسلام إلى الحياة الأفضل . وبتجرد تلك القيادات وإخلاصها ، وذلك حسب نظام خاص وترتيب معين .

٣ ـ صحة الفكر أو مرضه أساس لصحة المجتمع أو مرضه وهو مناط التغيير وعلامة الرقي تبعية الأشخاص والأشياء للأفكار وليس العكس المؤدي للانحطاط كما نشاهد جليا .

٤ ـ لابد من تكامل الفكر والسياسة ، وأن تدور السياسة في فلك الفكر وليس العكس .

٥ ـ تزاوج الاخلاص مع الاستراتيجية الصائبة في تعبئة الأمة وإلا تفجرت داخليا وهنا يشير المؤلف إلى الصراع الحزبي داخل العالم العربي وما جر من ويلات ويستنتج أن الاطار الحزبي استراتيجية خاطئة ويورد لذلك عشرة أسباب وجيهة « ص ٢٨٨ ـ ٢٩٥ » .

٦ ـ قيام الاصلاح على التدرج والتخصص وتوزيع الأدوار .

٧ ـ ترجمة أفكار الاصلاح والوحدة إلى أعمال وتطبيقات ، ولا تكون مجرد شعارات تناقض الواقع الملموس مما يفقدها فاعليتها ويؤدي إلى تصدع المجتمع وتعميق التخريب فيه بتسارع كتسارع الانشطارات النووية التي لاتتوقف عند حد « ص ٢٩٨ » .

ويضرب هنا الأمثال بتشتت وتشرذم الأقاليم العربية ومواطنيها في الخارج ... ويقارن ذلك بدولة اليهود ... وللأسف فالمقارنة ليست في صالحنا ..

وربما يشابه هذا القانون : القانون الثاني ، إلا أن هذا على مستوى جماعي ، وذاك ـ ربما كان ـ اكثر خصوصية .

٨ ـ مراعاة قوانين الأمن الجغرافي ، ويؤكد هنا على استراتيجية موقع بلاد الشام ، مستندا إلى النصوص والوقائع ـ فقد كانت مرتكزا لانتشار الفتوحات الاسلامية الأولى ، كما كان توحيدها وصلاحها في الفترة الزنكية والصلاحية مفتاحا للنصر والتحرير ..

وبالعكس كان طعنها بالخنجر الصهيوني المسموم ـ في الحاضر ـ بابا لكل شر مستطير ولا نزال نجني من آثارها الشوك والعلقم وسنلقي المزيد إلى أن يأذن الله بأمر من عنده يكون فيه التغيير والشفاء من كل هذه العلل فلابد من شفاء القلب والرأس أولا .

ولابد من إفشال سياسة الجبال العازلة التي يريد لها الاستعمار أن تقوم بدور كسر موجة الاسلام إلى

الحقيقية التي تنخر في جسم الأمة من داخل فتفرز فيها القابلية للتخلف والهزيمة ، ويشغلها بالأعراض الخارجية الناجمة عن تلك الأمراض ،

أي أن هذا الفهم يضع العاملين أمام خطوة من العمل يستحيل إنجازها لأن الأمة الضعيفة من داخل يستحيل أن تتغلب على الخطر من خارج . ولكن الخطوة الممكنة في حالة الضعف هي معالجة الضعف نفسه ، فإذا شفيت الأمة من أمراضها صارت الخطوة المستحيلة ممكنة :

والسبب الثالث ، أن هذا الفهم يفرز صورة خاطئة قاتلة لدور كل من القادة والأمة في تحمل المسؤوليات ومواجهة التحديات . فهو فهم ينمي في نفوس القادة روح الفردية والانفراد بالتخطيط والتنفيذ . ويزجهم في صراع مع كل من يحاول المشاركة في الرأي أو العمل في الوقت الذي لايستطيع هؤلاء القادة الانفراد في الرأي أو العمل فينتهون إلى الفشل والاحباط .

أما الأمة فإن هذا الفهم يستبعد دورها في المسؤولية ويطمس في عقولها مفهوم المسؤولية الجماعية ويشيع التواكل على القيادات وحدها ، فمهما

دعيت إلى التضحية والمشاركة أجاب لسان حالها : اذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون !! ومهما تتالت أمام

عيونها صور العجز والفشل والهزيمة فإنها تظل متثاقلة إلى الأرض تنتظر حدوث المعجزة وظهور القائد

المخلص ... وتتسامر في هويته وشخصيته ، فلعله المهدي المنتظر ... ولعله ... ولعله .. ؟!

○ استنتاجان مهمان من تحليل استراتيجية الاصلاح ، هدف البحث »

ويدرس الدكتور ماجد الكيلاني الموضوع دراسة متعمقة تقوم على البحث والاستقراء الذي غاص لأجله في نحو ٨٥ مصدرا ومرجعا وقدم لنا نتائج بحثه في كتابه المذكور الذي زاد على ثلاثمائة صفحة . وجاء في أربعة أبواب رئيسية وعشرين فصلا ، وقد حلل الدكتور ماجد استراتيجية الاصلاح والتغيير والتجديد تحليلا تاريخيا متبصرا ، وخرج من تحليلاته تلك باستنتاجين رئيسيين هما زبدة الموضوع ... وهما :

الأول : أن فترات القوة والمنعة في التاريخ الاسلامي إنما ولدت حين تزاوج عنصران هما : الاخلاص في النية ، والصواب في التفكير والعمل .

فإن غاب أحدهما أو كلاهما ، أو طلق أحدهما الآخر فلا فائدة من الجهود التي تبذل والتضحيات التي تقدم .

والأمر الثاني : أن التاريخ كله ـ الاسلامي وغير الاسلامي ـ برهن على أنه حين تقوم شبكة العلاقات الاجتماعية على أساس الولاء الشامل للفكرة فإن كل فرد في المجتمع يصبح مقدسا ومحترما ، سواء أكان حيا أو

ميتا ، ومهما اختلفت آراؤه مع الآخرين ، ويوجه الصراع إلى خارج المجتمع وتتوحد الجهود وتثمر . أما حين تتشكل شبكة العلاقات الاجتماعية طبقا لمحاور الولاء الفردي والعشائري والمذهبي والاقليمي ، فإن الانسان يصبح أرخص شيء في داخل المجتمع وخارجه ، ويدور الصراع في داخل المجتمع نفسه ويمزقه إلى شيع يذيق بعضها بأس بعض .

إن وقوفنا على تفاصيل هذا التغيير ومظاهره ومراحله التي جرت في المجتمع الاسلامي سواء في المرحلة التي مهدت للغزو الصليبي آنذاك ، أو المرحلة التي هيأت لدفع هذا الغزو يقدم لنا الدرس المفيد في محنتنا التي نواجه إزاء عوامل الضعف التي تعمل في كياننا من داخل ، والأخطار التي تتهددنا من خارج !

وهذا هو ما استهدفته هذه الدراسة التحليلية للتاريخ .. ودعائي إلى الله العلي القدير ان تسهم في تبصير المسلمين وقياداتهم الفكرية والسياسية والاجتماعية والتربوية للاستراتيجية الصائبة التي تمكنهم من حشد الطاقات وتؤهلهم لمواجهة التحديات .

ولله الفضل والمنة اولا وآخرا .

○ عرض موجز لفصول الكتاب

لقد قسم الدكتور ماجد بحثه إلى أربعة أبواب رئيسية ـ كما أسلفنا ـ بحث في الباب الأول : التكوين الفكري للمجتمع الاسلامي قبيل الهجمات الصليبية حيث عرى مذهبية الفكر الاسلامي وانقسامه وحلل التحديات التي كانت تواجه الأمة في تلك الفترة الحالكة وخصوصا تحديات الباطنية والفلاسفة ، وقد استغرق هذا أربعة فصول ... وعرض الدكتور ماجد بعض الصور والنصوص المخزية في هذه المجالات ...

وأما الباب الثاني فقد استغرق الفصول الاربعة التالية وتحدث فيه المؤلف عن : آثار اضطراب الحياة الفكرية في المجتمع الاسلامي . تلك الآثار التي تمثلت في فساد الحياة الاقتصادية والاجتماعية وانحلالها والانقسام السياسي والصراع المذهبي وما أنتج ذلك من آثار منها ضعف العالم الاسلامي أمام الهجمات الصليبية .

وفي الباب الثالث، تحدث الدكتور ماجد عن حركة التجديد والاصلاح وعرض عرضا علميا مفصلا لدور مدرستين رئيسيتين في هذا المجال كان لهما أكبر الأثر في إصلاح الجيل الذي مهد للنصر ... وهما مدرسة ابي حامد الغزالي ومدرسة عبدالقادر الجيلاني أو الكيلاني وطريقته القادرية .

ومع أن هذا الباب مكون من فصلين فقط فقد استغرق أكثر من مائة صفحة أي نحو ثلث الكتاب ... وهذا أمر يتسق مع أهمية الموضوع في كتاب يبحث عن ظهور جيل التحرير ـ جيل صلاح الدين ... ويتلمس لنا طريقا

داخل الصحراء وينقطع امتداده وتأثيره عبر أمواج البحر المتوسط الى العالم القديم والحديث .

ومزيدا من التنوير للقارىء ، وتأكيدا لاستنتاج الدكتور ماجد عرسان حول الأهمية البالغة للاستراتيجية الحساسة لبلاد الشام ـ وإكمالا لما ذكره عن تصريح الزنيم لورنس « ص ٣١٠ ـ ٣١١ » نعيد نشر فحوى تصريح لناحوم غولدمان رئيس المؤتمر الصهيوني السابق « ولسنوات طوال بنيت فيها الدولة الصهيونية ودعمت » وكنا نقلنا التصريح المذكور عن مجلة « الراية والصليب » التي كانت تصدرها الجمعية الوطنية النصرانية في الولايات المتحدة والتي أسست سنة ١٩٤١ ومن مبادئها مجابهة التغلغل والتسلل اليهودي والشيوعية والفاشية ... وللأسف فإن الحرية الاميركية الواسعة « كما يتشدقون » وحقوق الانسان « كما يزعمون ويفترون » لم تتسع لهذه النشرة البسيطة فأوقفتها حكومة الولايات المتحدة بشكل قمعي كأي نظام متخلف ، وبعد أن استمرت في الصدور اكثر من ٤٠ عاما حيث أنها كانت تنتقد بحدة كل الرؤساء والمرشحين والشيوخ والنواب الخاضعين للنفوذ الصهيوني ـ يقول ناحوم غولدمان في تصريحه المذكور :

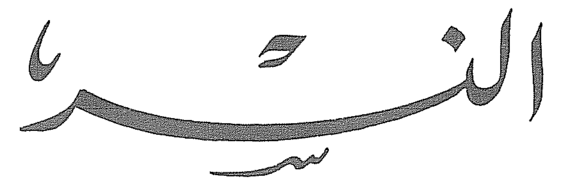
« إننا ـ أي اليهود ـ كان يمكن أن نقبل ـ كما عرض علينا ـ وطنا قوميا في أوغندا أو استراليا أو الأرجنتين ـ ولكنا أصررنا على فلسطين ليس فقط لأن فيها ضعف احتياطي الأمريكتين من البترول ولا لأن البحر الميت فيه ما قيمته خمسة تريشليونات من الليرات الذهب ، ولكن لأنها في موقع استراتيجي متوسط حساس ، من يسيطر عليه يسيطر على العالم » .

بقي أن نقول إن الجهد الذي بذله الدكتور ماجد في هذا الكتاب القيم جهد يستحق الثناء ... ويلاحظ فيه نكهة جديدة وأسلوب فريد واع في كتابة التاريخ وتحليل أحداثه ..

يارب

قال تعالى معلما عباده كيف يدعونه :

« رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين » ١٥ / الأحقاف .



النسر

شعر : احمد محمد الصديق

الى النسر الفلسطيني .. العائد بطائرته الشراعية .. ليثأر لوطنه

بجناحين من هوى واشتياق ⠀⠀ طار كالنسر حيث عز التلاقي
لم تكن نزهة ... ولكنها الأو ⠀⠀ طان تدعو لعودة ... وانعتاق
إنها ذروة التوهج .. يوم الرو ⠀⠀ ع ... والروح شمعة الاحتراق
شب فيه الايمان نورا ونارا ⠀⠀ يتلظى في القلب والأعراق
حملته نحو الشهادة أحلا ⠀⠀ م كبار ... علوية الاشراق
أترعت من سنا فلسطين عينا ⠀⠀ ه ... ومن طهر مائها الرقراق

****

ومن الصخر ... من جلاميدها الصـ ⠀⠀ ـم تجلى بعزمه الدفاق
ومن الراسيات .. من قمم المجـ ⠀⠀ ـد .. شموخ الجباه والأعناق
تتلاشى الحدود في ناظريه ⠀⠀ وهو يسري كالكوكب الخفاق
وشراع الفداء ... كالسهم ماض ⠀⠀ أي فتح هذا .. ؟ وأي اختراق ؟
تحت ثوب الدجى ... ترجل محفو ⠀⠀ فا بصمت ... مدجج الأعماق
ثم ندت (الله أكبر) تتلى ⠀⠀ بلسان حر .. ودمع مراق
قالها ... والشفاه تستمطر الحـ ⠀⠀ ـب على وجنة لحمى في عناق

****

ومضى الفارس الملثم إعصا ⠀⠀ را يدوي ... بالعصف والإبراق
صال في حومة المعسكر يجتا ⠀⠀ ح الأعادي ... في خفة وانطلاق
يحصد الآثمين ... جرثومة الشـ ⠀⠀ ـر ووكر الأذى ... وبذر النفاق
تشتكي الأرض والسموات ... مما ⠀⠀ أفسدوا في الحياة والأخلاق
وأذاقوا العباد ... مكرا وغدرا ⠀⠀ وأثاروا من فتنة وشقاق
واستباحوا « الأقصى » وكل القداسا ⠀⠀ ت لجيش البغاة ... والفساق

****

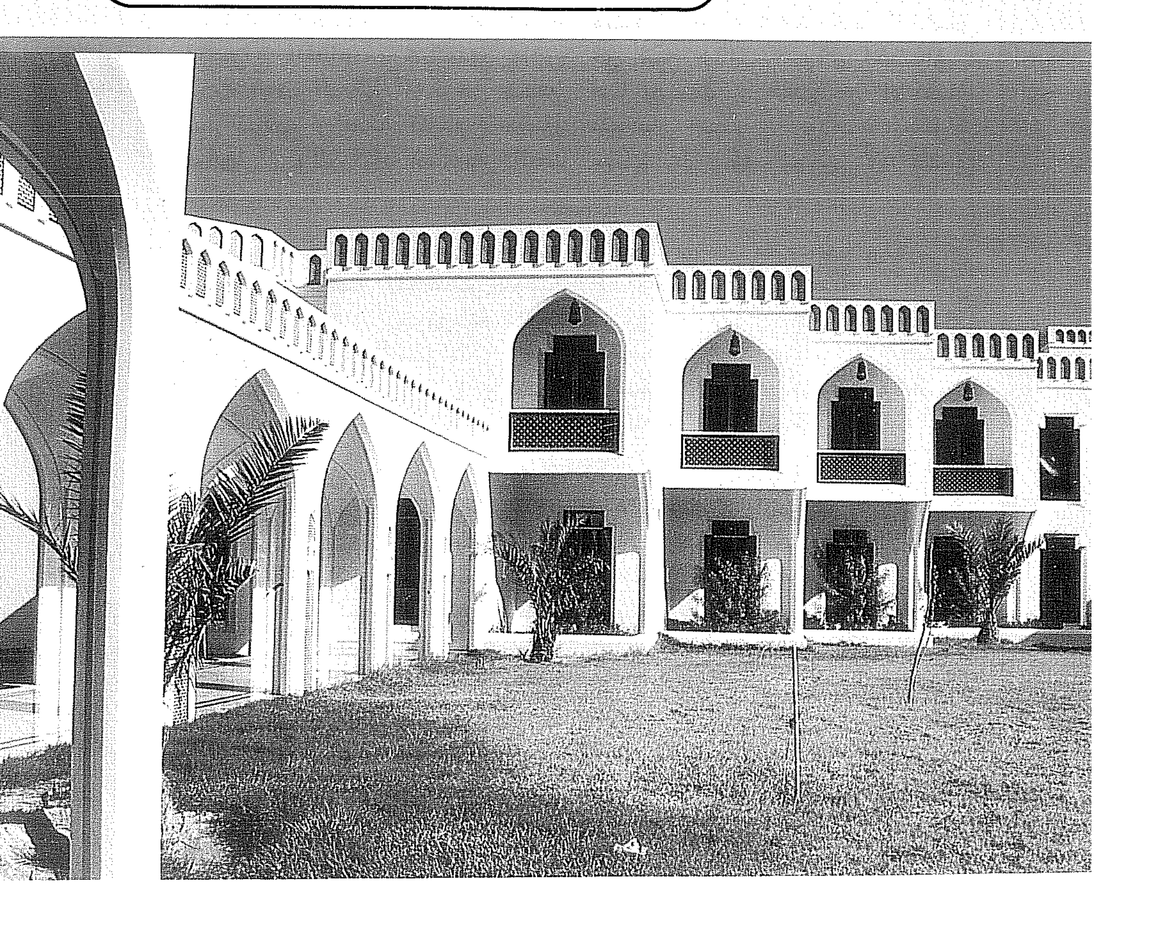
هاهي الصحوة التي افزعتهم ⠀⠀ قد اصابت نهارهم بالمحاق
تتهاوى على الثرى جيف الأو ⠀⠀ غاد رجسا مدنس الأرماق
وقريبا تأتي نهاية ليل ⠀⠀ يتمطى بالظلم والارهاق
كل شيء في الكون يفتح صدرا ⠀⠀ وذراعا للباسل العملاق
بدماء الشهيد ... كل المصابيـ ⠀⠀ ـح استضاءت شهبا على الآفاق
تستحث الصباح في صفحة الغيـ ⠀⠀ ـب كأن المنى خيول سباق
لعلعي يا بنادق النصر .. إن الـ ⠀⠀ فجرا آتٍ ... فبلغيه اشتياقي

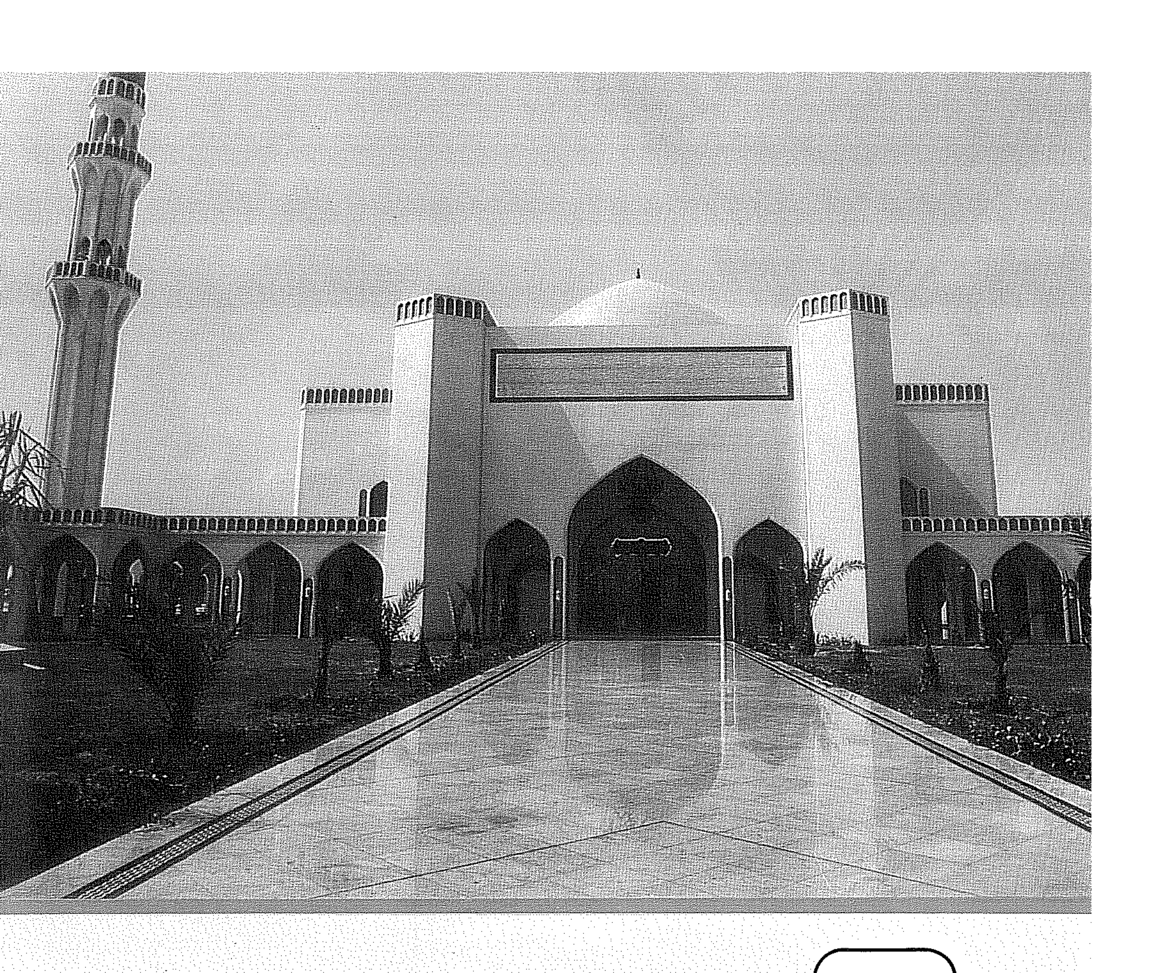
التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية

مركز يوسف المرزوق للطب الإسلامي

أجراه : الأستاذ خالد بوقماز

تصوير : عبدالرحيم أبو شماله





انطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم « يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء » .

وهذا أمر صريح من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالعلاج والتداوي ونبذ الشعوذة والخرافة ، لذلك بذل الرواد من علماء المسلمين الأوائل جهودا حثيثة في مجال الطب والأدوية فلم يقتصر علم الطب عندهم على ما نقلوه عمن سبقوهم في هذا المجال بل إن هذا العلم تقدم على أيديهم تقدما كبيرا نتيجة للطرق العلمية التي اتبعوها في اجراء تجاربهم وأبحاثهم القائمة على التجربة والمشاهدة والاستنتاج ، فدرسوا اتزان المركبات الكيميائية في جسم الانسان وأدركوا الفروق بين الكثير من الأمراض المتشابهة والتي لم يكن لمن قبلهم علم بها ، فعالجوا الحميات ذات البثور كالجدري والحصبة وتفتيت الحصى ؛ والنزيف وغيرها من الأمراض وبرعوا بطرق تشخيص الأمراض بحيث رتبت الأمراض من الرأس الى القدمين ووصفوا لكل مرض علاجا خاصا به كما عرفوا التخصص في فروع الطب من (طب عيون ـ باطنية ـ جراحة ـ أمراض النساء ـ أطفال وغيرها) .



وأصبح الطب لديهم علما تخصص له المعاهد ، كما وصفوا الامتحانات الطبية لطلبة الطب تحت اشراف لجنة متخصصة تمنح الشهادات الطبية للناجحين منهم ، ومن مشاهير علماء المسلمين في مجال الطب وممن كانت لهم آثار بعيدة المدى في المجال الطبي (محمد بن زكريا الرازي) صاحب كتاب الحاوي والذي جمع فيه كل ما عرف من صناعة الطب ، (وأبو علي بن سيناء) مؤلف كتاب القانون في الطب وهو عبارة عن قاموس في الطب والصيدلة والتشريح ، و(أبو القاسم الزهراوي) صاحب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف و(ابن النفيس) مكتشف الدورة الدموية الصغرى ، و(ابن البيطار) صاحب كتاب الجامع الكبير لقوى الأدوية والأغذية والذي جمع فيه أكثر من ألف وأربعمائة دواء مرتبة على حروف المعجم .

وبذلك ترك علماء المسلمين ذخيرة ضخمة من التجارب والمؤلفات التي شكلت بمجموعها تراثا استفادت منه الانسانية وكانت منطلقا للعلوم الحديثة أخذت أوروبا من هذه الذخيرة حتى القرن التاسع عشر حيث ظهرت الكيمياء التي نجح علماء أوروبا في احلالها محل النباتات الطبية في العلاج ومن ثم استطاعوا الترويج لها واقناعنا بمفعولها وبذلك أصبحت

بلادنا سوقا استهلاكية كبيرة لتسويق منتجاتهم في مجال الطب والعلاج والأدوية لذلك كان لا بد للمسلمين وبخاصة العلماء والأطباء من العودة الى تراثهم والاستفادة منه بتقديم العلاج بوساطة النباتات الطبية نظرا لرخص تكلفتها وقلة مضاعفاتها وتأثيراتها الجانبية أو انعدام ذلك ، وعدم حاجاتها للخبرة كالمواد الكيميائية وهي متوفرة بكثرة في البلاد الاسلامية مع مسايرة العلاج الحديث ومحاولة التوفيق بينه وبين العلاج بالنباتات الطبية ليكمل كل منهما الآخر .

لذلك ظهرت الحاجة الماسة لوجود منظمة ترعى شؤون الطب وما يتعلق به وتتبنى التعاليم والقواعد الاسلامية في ممارساتها واهدافها ووسائلها .

نشأة المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية

نوقشت فكرة انشاء منظمة اسلامية للعلوم الطبية ، من ضمن العديد من الأفكار التي طرحت خلال الاحتفال بدخول القرن الخامس عشر الهجري ولقد لاقت هذه الفكرة التشجيع والحماس عند بعض الاخوة الذين بذلوا جهودا كبيرة لهذا الغرض ، ولقد أصدر حضرة صاحب السمو الأمير جابر الأحمد الجابر

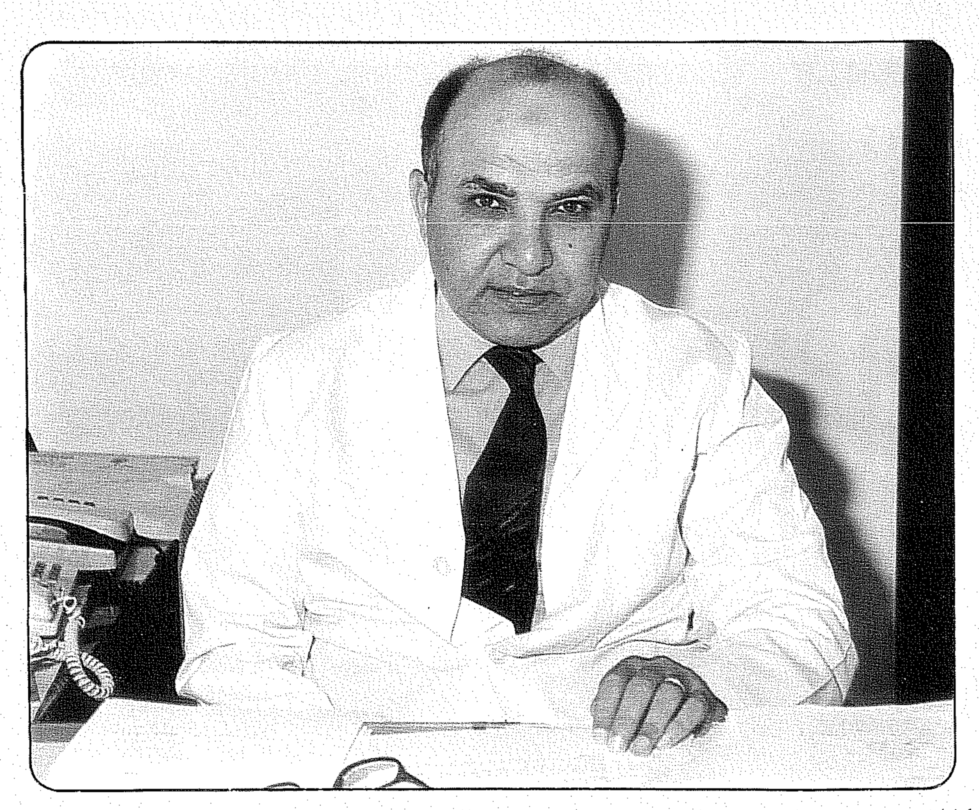


الصباح المرسوم الأميري رقم (١٨) لسنة ١٩٨٤م بانشاء المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية على أن تكون لها الشخصية الاعتبارية - ومقرها دولة الكويت ولها أن تنشيء مراكز للبحوث والدراسات داخل دولة الكويت وخارجها وأن تباشر نشاطها وفقا لأحكام النظام الأساسي للمنظمة . ولقد سارع اخوة آخرون في بناء مركز طبي اسلامي ليكون مقرا للمنظمة وصرحا اسلاميا ومركزا لاشعاع ثقافي اسلامي حضاري إهداء للكويت والمسلمين ، وكان الطموح أكبر من أن يكون محلي الجهد أو اقليمي الموطن .

دوافع انشاء المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية

هناك العديد من الدوافع التي أدت بالغيارى من المسلمين للتفكير في ايجاد منظمة اسلامية تعنى بشؤون الطب والأدوية وفق النهج الاسلامي وهذه الدوافع .

● ظهور ما يسمى بالهندسة الوراثية ومحاولات العلماء للعمل على تطبيقها على الانسان ؛ وهذه الأبحاث تجرى في معامل الغرب والشرق حيث انفصل الدين عن العلم ، وقد اكتفى المسلمون بالمشاهدة وتتبع الأخبار دون



المساهمة الفعالة فيها .

● ظهور الطب العلماني المطالب بإبعاد تعاليم الدين عن الطب وعن سلوكيات الطبيب ومحاولة نشر هذا الفكر بين دول العالم بالتحرر من كل فضيلة تنادي بها الأديان .

● اهمال المسلمين للمجال التطبيقي للطب وهو ما يهم صحة الانسان المسلم سواء أكان فردا أم جماعة أم أمة من طب وقائي وطب علاجي .

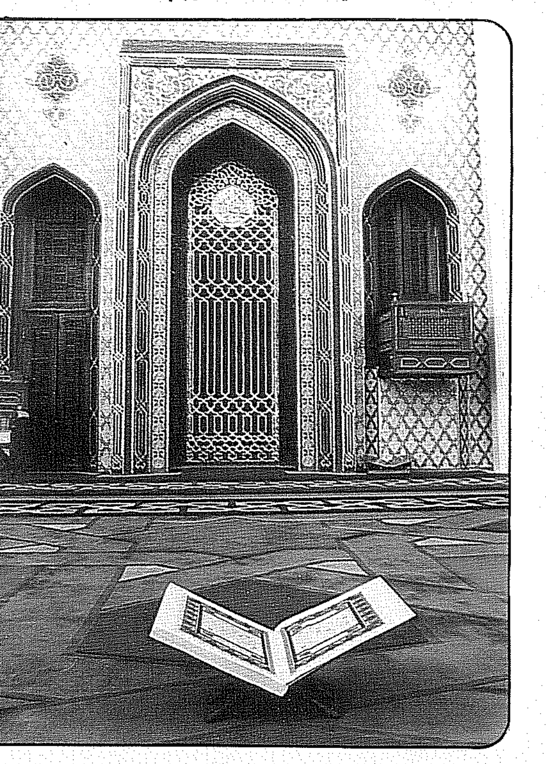
● عدم وجود منظمة أو هيئة اسلامية متخصصة في هذا المجال للتصدي لمن يتجنى على الاسلام الذي أصبح السكوت عليه جريمة وتقصيرا بحق الاسلام والمسلمين .

أهداف المنظمة

تقوم المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية على تحقيق الأهداف التالية :

١ ـ احياء تعاليم الدين الاسلامي الحنيف فيما يتعلق بعلاج مختلف الأمراض البدنية والنفسية والوقائية وكذلك احياء التراث الاسلامي في مجال الطب بتحديث البحوث والدراسات التي وضعها الرواد من أطباء المسلمين على ضوء التقدم التقني المعاصر والعمل على تطبيقها بأسلوب علمي حديث لخدمة الانسانية .

٢ ـ تشجيع العاملين في مجال العلوم الطبية الاسلامية والعمل على تضافر الجهود الطبية والفقهية للوصول لرأي موحد في تطبيق ما يستجد من أمور في البحث الطبي الحديث وايجاد البدائل



الصحيحة للوسائل والعقاقير المحظور استعمالها اسلاميا .

٣ ـ انشاء المراكز الصحية للفئات المحتاجة من المسلمين في العالم .

٤ ـ التعاون مع الهيئات والجمعيات الوطنية والدولية التي تعنى بنفس الأهداف في أنحاء العالم وتشجيع تكوين مراكز أو جمعيات جديدة لها نفس الأهداف ومساعدتها على نشر رسالتها والعمل على انضمامها للمنظمة .

٥ ـ العمل على ربط برامج الدراسات الطبية بالقيم التي ارتكزت عليها الحضارة الاسلامية وتعاليم الدين الحنيف وتوعية النشء المسلم بتراثه في هذا المجال .

٦ ـ توحيد ونشر المصطلحات والمفاهيم العلمية والأخلاقية الاسلامية للمهن الطبية وتعميمها .
٧ ـ تنسيق الجهود في مجالات الخدمات الصحية بالعالم الاسلامي .

ماهية الطب الاسلامي

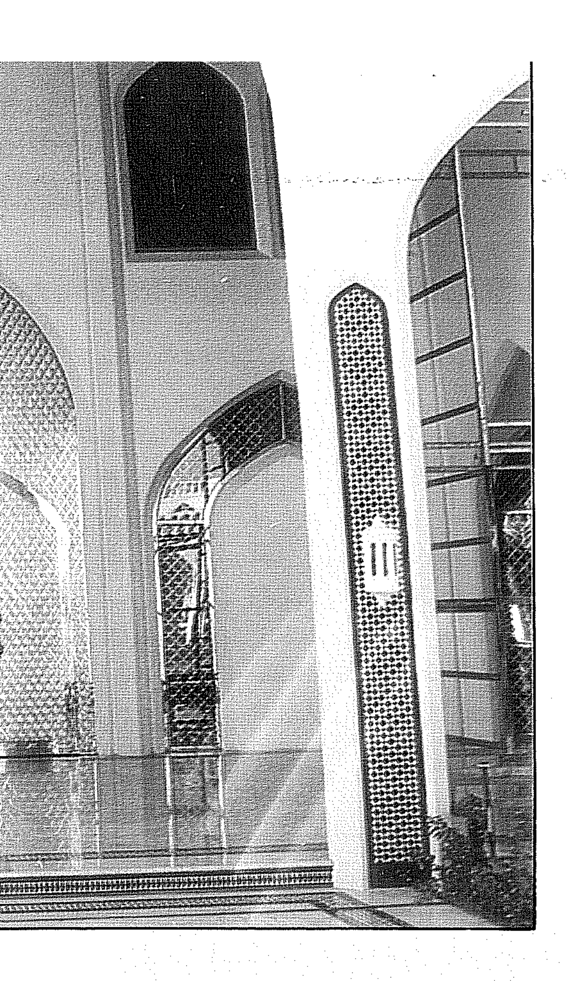
الطب الاسلامي هو الطب المتميز في نظرته للانسان على أنه خليفة الله في الأرض وانه كل لا يتجزأ جسدا ونفسا وروحا وهو طب يستمد تعاليمه وممارساته من الشريعة الاسلامية ملتزما بأحكامها الشرعية من الحلال والحرام .

علاقة مركز الطب الاسلامي بالمنظمة الاسلامية للعلوم الطبية

يشكل مركز الطب الاسلامي والمنظمة الاسلامية للعلوم الطبية وجهين لعملة واحدة ويعتبر مركز الطب الاسلامي الأداة التنفيذية الطبية للمنظمة الاسلامية للعلوم الطبية . وفي أرجاء هذا المركز يتم اجراء الأبحاث والتطبيقات العملية والعلاج الطبي بواسطة النباتات والأعشاب الطبية بدون استخدام الأدوية والمستحضرات الكيميائية .

مركز يوسف المرزوق وزوجته للطب الاسلامي

على مساحة تقدر بحوالي خمسة عشر ألف متر مربع شيد مركز يوسف المرزوق للطب الاسلامي في زاوية من



زوايا المساحة المخصصة لمستشفى الصباح بمنطقة الشويخ بالكويت .. وقد استغرق العمل بهذا المشروع الرائد زهاء أربع سنوات من العمل المتواصل . وبلغت تكاليف المركز بمرافقه جميعها ستة ملايين ونصف مليون دينار كويتي ، وينقسم هذا المشروع الى قسمين أساسيين :
المسجد وهو رمز العبادة .
والمركز الطبي وهو رمز العلم وهما جزءان متلازمان في ديننا الحنيف .

الجناح الأيمن :

ويضم هذا الجناح المسجد والذي تبلغ مساحته ألف وثلاثمائة متر مربع



تقريبا ويعتبر من أحدث مساجد الكويت .. ويتكون هذا المسجد من ثلاثة أدوار :

ـ الأرضي وهو خاص بالرجال ويتسع لحوالي ألف وخمسمائة مصل .

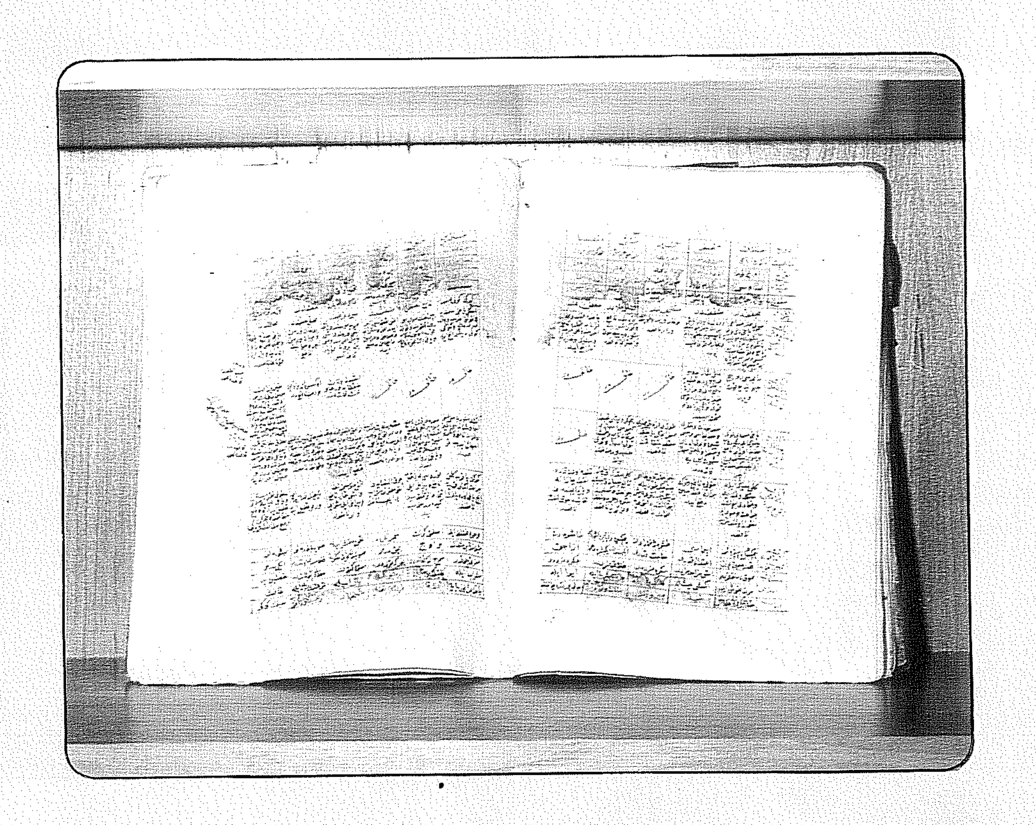
ـ الأول : وهو خاص بالنساء ومزود بدورة مياه خاصة .

ـ الثاني : وهو خاص بالخدمات .

ومن أبرز المميزات لهذا المسجد القبة التي يبلغ قطرها عشرون مترا وبارتفاع يبلغ خمسة وعشرين مترا .

وقد كتبت عليها بعض الآيات القرآنية الكريمة ، وقد نقشت القبة بالأشكال الهندسية ذات الطراز الاسلامي والتي شكلت مع السجاد المنقوش خلية متكاملة ذات ألوان متناسقة كما زينت جدران المسجد بالأقواس والفسيفساء وللمسجد ستة أبواب صنعت من النحاس المنقوش يدويا أما المئذنة فبلغ ارتفاعها خمسة واربعين مترا وقد طلي الجزء العلوي منها باللون الذهبي .

ومعروف ان للعبادة دورها في راحة الانسان النفسية والبدنية ، والمسجد مكان يلجأ فيه الانسان الى الله ويخرج منه وهو أكثر تفاؤلا وأملا في أن يحقق الله رجاءه .. والشفاء أولا واخيرا إرادة الله ، والدواء لتحقيق ارادته سبحانه .



الجناح الأيسر :

هذا الجناح يضم المركز الطبي وقد كتب على مدخله الآية الكريمة «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » .

ويتألف المركز الطبي من طابقين :

● **الطابق الأرضي** ـ ويشغل الجانب الأيمن منه العيادات الخارجية أما الجانب الأيسر فتوجد فيه بعض القاعات والصيدلية ثم المكتبة والتي تزخر بكتب التراث والفقه والطب والصيدلة والعلوم .

● **الطابق العلوي** ـ يشغله مقر ادارة المركز ومقر المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية والمختبرات والسكرتاريا .

● **الممرات** : تربط بين الجناحين الأيمن والأيسر ممرات على شكل أقواس منقوشة صممت على الطراز الاسلامي وزادها اللون الأبيض والأرضية الرخامية جمالا وتناسقا ثم زين المكان بأربع نوافير ذات طابع إسلامي وأحيطت بالحدائق الجميلة .

المكتبة : مازالت مكتبة المركز في بداياتها ومع ذلك فهي تحتوى على ما يقرب من ثلاثة الاف كتاب والكثير من المخطوطات ، شملت شتى المعارف والعلوم وبخاصة : علوم الطب والصيدلة ، ويمكن إيجاز ما تحتويه

المكتبة فيما يلي :

● بعض الكتب المخطوطة والتي كتب بعضها باللغة العربية والبعض الآخر باللغة الفارسية . تناقش هذه المخطوطات النباتات الطبية واستعمالاتها المختلفة وطرق تحضير وصناعة الأدوية ، كما تناقش قوانين وأصول الصحة الوقائية ، وأهم هذه المخطوطات : كتاب ابن النفيس (الموجز في الطب) وكتاب ابن سينا (نظريات في التشريح والطب) وغير ذلك .

● بعض المخطوطات المصورة على الميكروفلم واهم تلك المخطوطات (الحاوي في علم التداوي) وكتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) و(شرح منظومة ابن سينا في الطب) و(شرح أصول أبوقراط) و(كنز الطبيب وبغية السيد الحبيب) و(البيان في كشف اسرار الطب للعيان) .

● كما تضم المكتبة مطبوعات المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية وتشمل المؤتمرات والندوات التي عقدت سواء داخل وخارج الكويت ، ابتداء من المؤتمر الأول حتى المؤتمر الرابع .

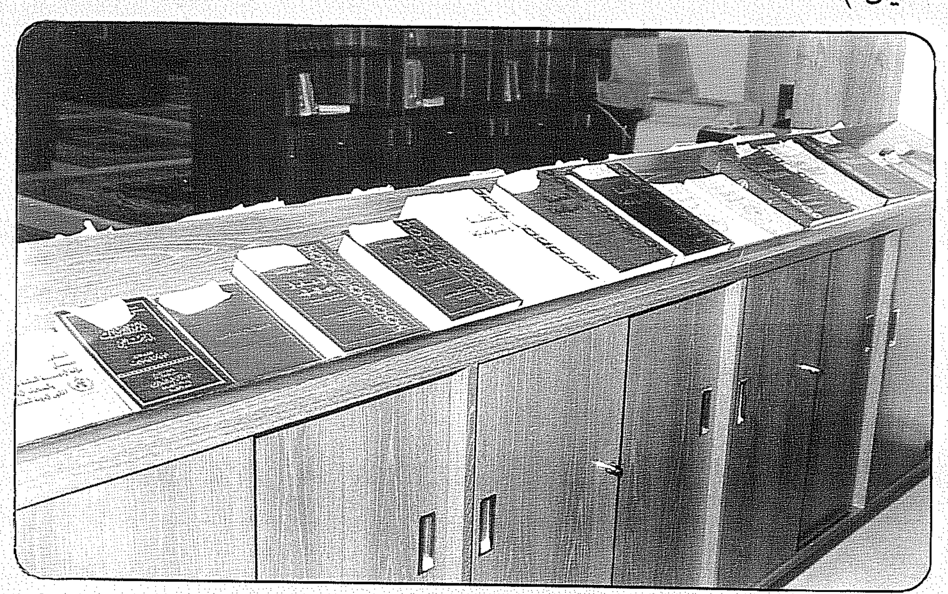
● كما تحوى المكتبة بعض الموسوعات الخاصة بالطب بشكل عام وبالطب الاسلامي بشكل خاص .

● كما توجد كتب خاصة بالشريعة والفقه والقرآن الكريم وتفسيراته وتراجم للقرآن الكريم .

● تضم بعض الكتب العامة والخاصة بالجغرافيا والتاريخ والتربية وغيرها من العلوم .

● تستخدم المكتبة ست لغات هي : العربية ، الانجليزية ، الفرنسية ، التركية ، الاوردو ، الفارسية .

● بلغت الدوريات خمسا وخمسين دورية . منها ثلاثون باللغة الانجليزية وخمس وعشرون باللغة العربية .



الأقسام الأساسية للمركز :

ينقسم المركز الى ثلاثة أقسام أساسية يتفرع منها العديد من الأقسام والوحدات ووظيفة هذه الأقسام جميعها هي التداوي بالنباتات الطبية .

الأقسام الرئيسية

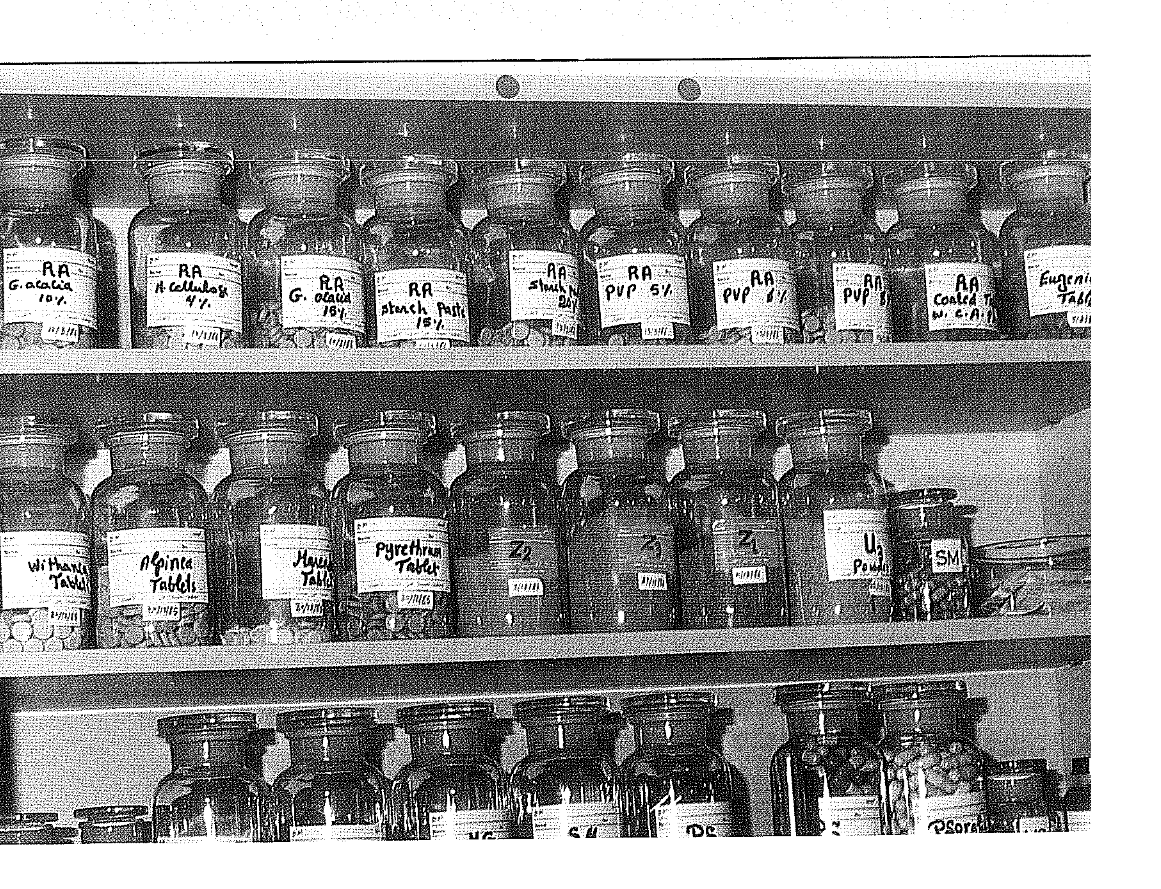
هي :

● **العيادات** ـ ويبلغ عددها ثلاث عشرة عيادة كل واحدة منها متخصصة بمرض معين من الأمراض التي يتم علاجها بالمركز وفي كل واحدة منها طبيب متخصص ذو كفاءة عالية في مجال تخصصه .

● **المختبرات** ـ ووظيفتها الأساسية وضع مواصفات توصيف للنباتات الطبية للتأكد من سلامتها وصلاحيتها للاستعمال الآدمي داخل المركز .

○ **المصنع** : ويقوم بفحص النباتات للتأكد من صلاحيتها ثم تبدأ عملية تصنيعها وتحويلها من شكلها النباتي الى شكلها الطبي المعروف كالاقراص ـ والكبسولات ـ والشراب ـ والمساحيق ـ وغيرها .

أما الأقسام والوحدات المتفرعة من الأقسام الرئيسية والتي تقوم بمهام وانشطة متنوعة فهي تمثل بمجموعها الأعمال التي يقوم بها المركز وهي : معمل الأجهزة الحساسة ـ وحدة



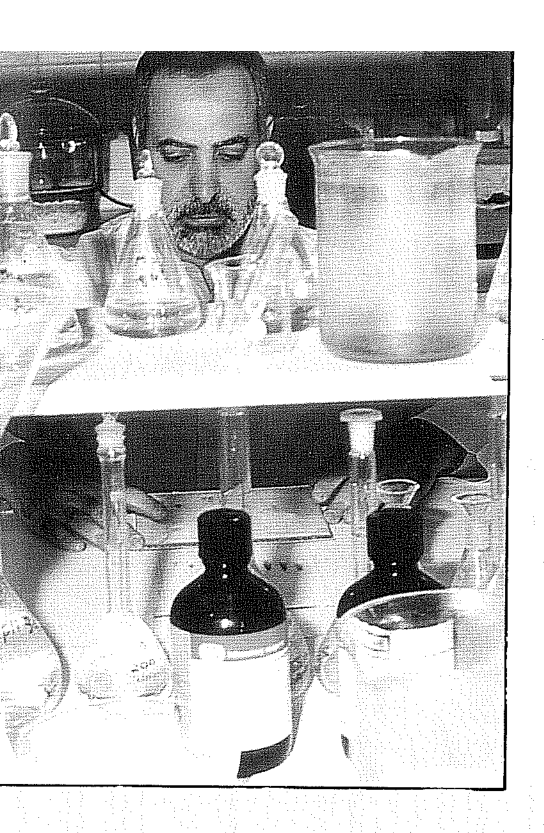
الميكروبيولوجيا
قسم الصيدلانيات ـ قسم العقاقير
قسم الكيمياء الحيوية ـ قسم كيمياء العقاقير
قسم الاقرباذين ـ قسم الرقابة

الامراض التي يتم علاجها بالمركز :

يقوم المركز بتقديم العلاج للكثير من الامراض والتي من أهمها : ـ
الحساسية الانفية ـ الجيوب الانفية
الربو الشعبي ـ امراض الجهاز التنفسي
الصداع النصفي ـ الروماتيزم
البهاق (الامراض الجلدية) ـ الامساك
السكري ـ امراض الجهاز البولي (الالتهابات والحصى)
زيادة دهنيات الدم ـ قرحة الاثنى عشر وزيادة الحموضة
كسل في كفاءة الكبد .

مراحل علاج المرضى :

تمر عملية علاج المرضى بثلاث مراحل هي : ـ
ـ **التشخيص** : وهي الخطوة الاولى التي لابد لأي مريض يعالج بالمركز من المرور بها ، حيث يتم فحص المريض فحصا دقيقا للتأكد من ان المريض يعاني من احد الأمراض الثلاث عشرة التي يتم علاجها بالمركز ، أما إذا احتاج المريض إلى بعض الاجراءات الطبية كالأشعة او التخطيط أو غيرها فإنه يحول إلى



إحدى المستشفيات التخصصية لاجراء اللازم .

ـ **العلاج** : وهو الخطوة التالية فبعد تحديد المرض يبدأ المريض بأخذ العلاج المقرر ويكون ذلك على شكلين ، إذا كان المريض لا يستعمل اي نوع من الأدوية فإنه يبدأ مباشرة بالعلاج بالنباتات الطبية ، أما إذا كان ممن يستخدم الأدوية الخطرة (الأدوية التي يؤدي إيقافها او سحبها مباشرة إلى ضرر قد يصيب حياة او صحة المريض) فإنه يبدأ بتقليل جرعات هذا الدواء وتحل النباتات الطبية محلها بالتدريج .

ـ **المتابعة** : بعد ان يبدأ المريض بتناول العلاج المقرر له تتم متابعته (اكلينيكيا) للتأكد من استجابة

المريض لهذا العلاج ، فإذا كانت الاستجابة ايجابية يستمر المريض بتناول الدواء ، أما إذا كانت سلبية فيعاد التشخيص مرة اخرى ولكن بعد مضى ستة اشهر من الفحص الطبي السابق .

القوة الطبية للمركز :

تتكون القوة الطبية للمركز من اثنين واربعين اختصاصيا موزعين على :

- ٨ من الاطباء .
- ١٢ من الصيادلة .
- ١٢ من الكيميائيين .

ويحمل هؤلاء الاختصاصيون اعلى الدرجات العلمية في مجال تخصصاتهم ، ويعاونهم عشر من الممرضات المتمرسات .

مصادر النباتات الطبية :

إن المصدر الاساسي للبناتات الطبية يعتمد على المادة الفعالة التي تكون أكثر تركيزا في مكان معين من النبات ، وهناك العديد من هذه المصادر والتي يمكن الحصول بوساطتها على الكثير من النباتات الطبية والتي من اهمها - الجذور - البذور - اوراق النباتات - ازهار النباتات - سيقان النباتات - لحاء الشجر .

أما أهم الدول التي يتم استيراد النباتات الطبية منها فهي الباكستان - الهند - جمهورية مصر العربية .

عدد المرضى :

إن ازدياد اعداد المرضى المترددين على المركز يدل دلالة قاطعة على الثقة التي اكتسبها المركز لدى المرضى والمراجعين خلال الفترة الزمنية القصيرة من عمره ، كما يدل على مدى فاعلية وايجابية التداوي بالنباتات الطبية التي يعتمدها المركز بالعلاج . ولقد تردد على المركز في عام ١٩٨٤م - ٩٥٠٠ مريض
١٩٨٥م - ١٣٠٠٠ مريض ،
١٩٨٦م - ١٣٥٠٠ مريض .

ولم يقتصر العلاج على سكان الكويت بل تعداه إلى العديد من دول الخليج العربي وبخاصة من المملكة العربية السعودية .

انجازات المركز :

على الرغم من قصر الفترة منذ بداية العمل في المركز الى الآن الا أنه استطاع ان يقوم بإنجازات كبيرة ومتنوعة في مجالات تخصصه والتي يمكن إيجازها فيما يلي :

○ مجال المختبرات :

- استطاع المركز إدخال العلاج بالنباتات الطبية للعديد من الحالات المرضية .
- ثم وضع تفسيرا وشرحا علميا لطريقة تأثير النباتات في علاج الحالات المرضية .
- وأجرى عملية تصنيع للنباتات

والاعشاب الطبية المستخدمة في العلاج بالاشكال الصيدلية المختلفة .
- ووضع كتابا يتضمن المواصفات الخاصة لتسجيل ومراقبة المستحضرات الصيدلانية التي من أصل نباتي .

مجال الادوية :

تم تخليص عدد كبير من المستحضرات الصيدلانية من الكحول تمشيا مع تعاليم ديننا الاسلامي الحنيف .

مجال الفقه الطبي :

عقدت ثلاث ندوات نوقشت فيها العديد من المشاكل الطبية المعاصرة كالانجاب في ضوء الاسلام والحياة الانسانية بدايتها ونهايتها في المفهوم الاسلامي وبينت الاراء الاسلامية في هذا المجال من خلال الحوار الذي تم بين علماء الطب والفقه الاسلامي .

○ مجال التراث :

تمت المشاركة مع الهيئات العالمية لاجلاء دور ومكانة علماء المسلمين في المجال الطبي والمشاركة بمعظم المؤتمرات المتعلقة بأنشطة المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية في الدول العربية او الاسلامية او الأجنبية كما قام المركز بتصوير عدد كبير من المخطوطات الطبية على الميكروفلم وتبادل الوثائق مع الكثير من المكتبات العالمية المهتمة بالمجال الطبي .

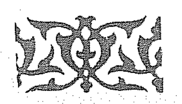
المشاركة في مؤتمر القاهرة :

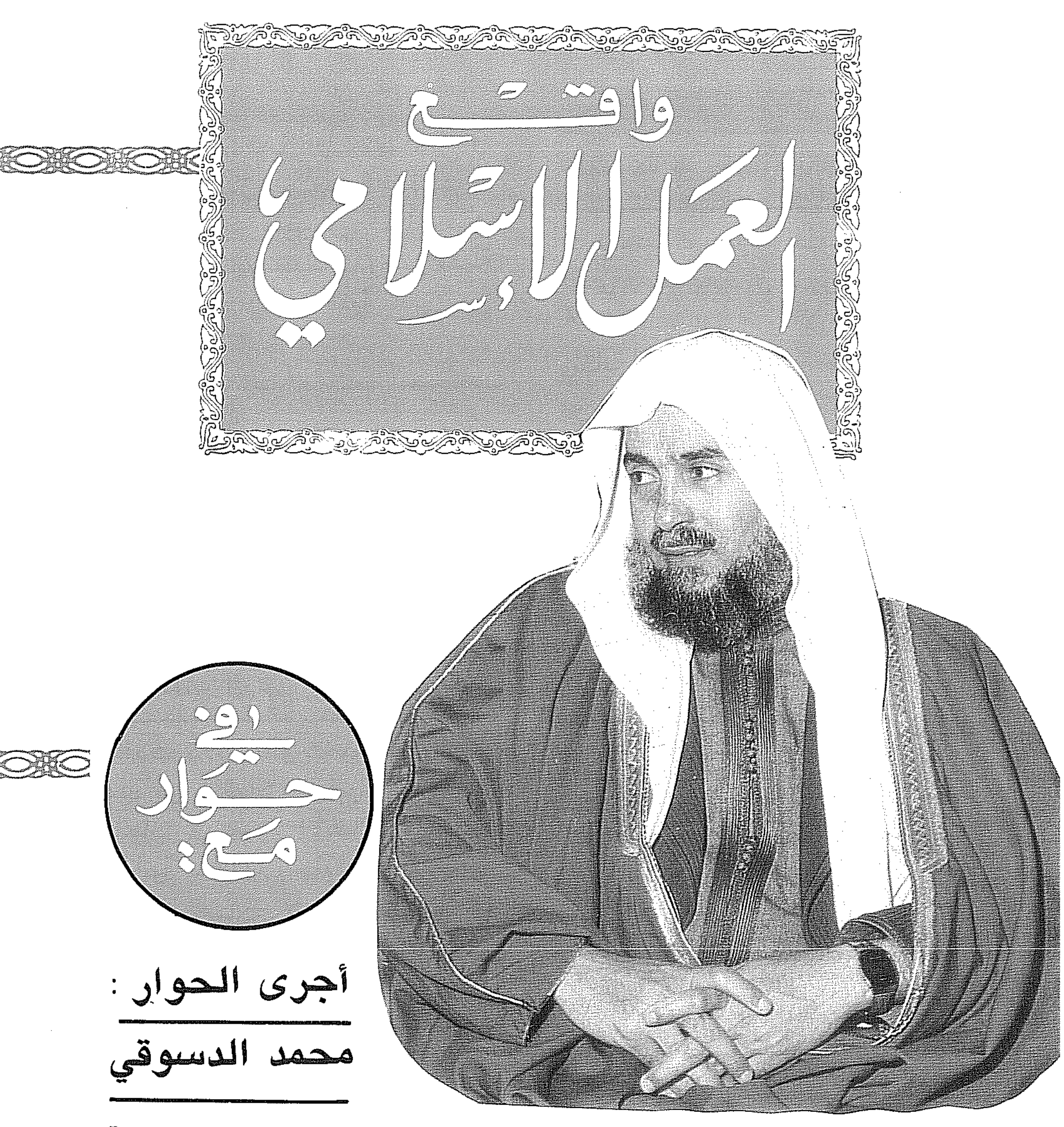
سيشارك المركز بمؤتمر القاهرة الذي سوف يعقد في شهر نوفمبر سنة ١٩٨٨م بدعوة من الازهر الشريف ونقابة اطباء جمهورية مصر العربية وسيتناول هذا المؤتمر ثلاث قضايا :

- التعليم الطبي من منظور اسلامي .
- مشكلات الشباب والأوبئة المعاصرة وتشمل (المخدرات ـ المسكرات ـ الاباحية) .
- المجال التطبيقي للعلاج ومدى الاستفادة منه .

افتتاح المركز :

تحت رعاية حضرة صاحب السمو الشيخ جابر الاحمد الصباح تم افتتاح مركز يوسف المرزوق وزوجته للطب الاسلامي في يوم ٢١ فبراير ١٩٨٧م ، بمناسبة العيد الوطني السادس والعشرين لدولة الكويت وقد حضر الحفل عدد كبير من المسؤولين والمواطنين واعضاء السلك الدبلوماسي والمهتمين بالشؤون الطبية .





أجرى الحوار :

محمد الدسوقي

● الأمة الاسلامية في أشد الحاجة الى العودة الصحيحة لأحكام الدين الحنيف سعيا للخلاص من مشكلاتها الحاضرة ، وايجادا للحلول الناجعة التي تقضي على أسباب الفرقة وعوامل التمزق التي يدسها عليها أعداء الاسلام .

والمتأمل المدقق في تاريخ المسلمين الأوائل يجد أنهم سادوا وعزوا ، وكانت لهم الغلبة في الأوقات التي أحسنوا فيها الانضواء تحت لواء الدين الحق .

ولا شك في أن العمل الدعوي يتأثر كثيرا بمدى صلة المسلمين وأخذهم بأحكام دينهم ، ففي فترات قوة المسلمين

الدكتور عبدالله التركي

مسيرة الدعوة تعكس واقع المسلمين وتتأثر بعوامل قوتهم وضعفهم

قلة الدعاة مشكلة تتطلب تضافر الجهود للتغلب عليها

مقتضى الايمان هو التزام الناس بأحكام الشريعة الاسلامية

تقوى مسيرة الدعوة وتتعاظم وسائلها وتزيد حماسة المسلمين للوفاء بها ، وفي فترات ضعفهم تضعف المسيرة الدعوية أيضا .

من هنا كانت الانطلاقة لبدء هذا الحوار مع الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي رئيس جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ورئيس رابطة الجامعات الاسلامية ●

● الدعوة الى الله تعالى من الضرورات الحياتية الواجبة باعتبارها دعامة من دعامات التقدم والتحضر .. فما مدى قيام الأمة الإسلامية بواجبها تجاه الدعوة الى الله داخل بلاد المسلمين وخارجها ؟

ـ الدعوة الى الله تعالى فريضة على المسلمين عامة ، لأن الله سبحانه وتعالى أوجب عليهم القيام بإبلاغ دينه ، ونشر دعوته ، قال تعالى :

(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران/ ١٠٤ . وقال تعالى : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران/ ١١٠ .

وحقيقة الدعوة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بمعنى أن يبين للناس الحق ، ويدعون إليه ، وأن يبين لهم الباطل والضلال وينهون عنه ،

وهذا هو جوهر الدعوة الى الله تعالى . والأمة الاسلامية في الحاضر فيها ضعف ، وفيها تفرق ، وفي كثير من مناحي حياة شعوبها بعد عن كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. ومعروف ان مصدر القوة للمسلمين ارتباطهم بالكتاب والسنة واعتصامهم بهما .

وكلما ابتعدت الأمة الاسلامية عن هذين المصدرين ضعف إيمانها ، وضعف التزامها وتطبيقها لهذا الدين . والدعوة جانب من الجوانب المطلوبة للمسلمين ، فإذا كانوا في حالة من الضعف فستكون مسيرتهم مع الدعوة ضعيفة ، وإذا تقدم المسلمون وقوى ايمانهم وازداد تمسكهم وعملهم بالدين وتطبيقهم لشريعة الله انطلقت الدعوة قوية سواء كانت داخل بلاد المسلمين أم خارجها .

على أن هذا الكلام لا يعني أن الدعوة ليست موجودة ، فما دام المسلمون موجودين ، فالدعوة قائمة ، وما دام مسلم موجودا على هذه الأرض فالخير مؤمل ، لأن المسلمين يعيشون بالاسلام ، وهو محفوظ بحفظ الله تعالى له .. قال عز وجل : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر/ ٩ .

والقرآن الكريم محفوظ برعاية الله عز وجل وعنايته ، والسنة محفوظة بالجهود العظيمة التي قام بها علماء السنة ، والتراث الفقهي والعلمي للمسلمين موجود ، فأينما وجد مسلم مرتبط بهذه المصادر فإن بإمكانه أن يقوم بالدعوة الى الله عز وجل ..

إن الدعوة الى الله تعالى في الوقت الحاضر يشوبها شيء من النقص والتناقض والخلاف والفرقة ، لأنها صورة لواقع المسلمين .

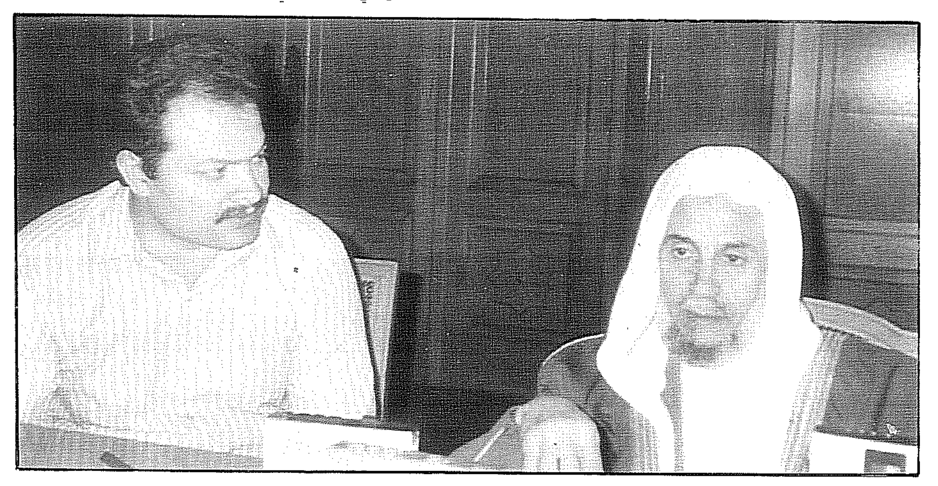
هذا في الوقت الذي نرى فيه إقبالا شديدا على الاسلام من الشباب والشيوخ والنساء سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أم الجماعات وهو مايستلزم الجد في أمور الدعوة وتدارس قضاياها والاجتماع بشكل مستمر بين المتخصصين فيها من أجل أن يبحثوا كافة مشكلاتها وقضاياها وأوضاعها حتى تواكب الرغبة لدى الناس في الاستجابة للدين .

تأهيل الدعاة

● أكثر ما تعانيه الدعوة الاسلامية في الحاضر قلة الدعاة وفقر هذه الدعوة الى الثقافة الاسلامية الواعية القادرة على ملء الفراغ لدى العامة .. فكيف ترى الطريق للتغلب على هذا ؟

- هذه واحدة من المشكلات الكبيرة التي تواجه مسيرة العمل الدعوي بالفعل ، فلو وجد عدد من الدعاة وجدنا قدرات غالبيتهم محدودة وتصوراتهم غير شمولية ، وليست واسعة كما أرادها الاسلام ، وبالتالي فإن هذا يؤثر سلبا على مستوى الأداء للدعاة .

وعلى كل حال هناك مستويات متعددة فالجامعات الاسلامية وكليات الدعوة ومعاهدها عليها واجب كبير في إعداد وتدريب وتخريج الدعاة الذين



يقومون بالدعوة الى الله عز وجل في الوقت الحاضر .. وعلى المؤسسات التعليمية واجب كبير في مجال تأهيل الدعاة القادرين على الوفاء بالواجب نحو نشر الدين الحنيف والتعريف بقيمه واحكامه ..

والجمعيات والمراكز الاسلامية في مختلف البلاد الاسلامية مدعوة للقيام بواجبها في مجال تدريب وتأهيل الدعاة باذلة الجهد في سبيل تجميع الموهوبين وإفادتهم عن طريق اللقاءات والندوات والمحاضرات التي يشارك فيها كبار علماء الاسلام ممن لهم خبرات وتجارب في مجال الدعوة .

ونحن في كثير من المؤتمرات نرى نماذج جيدة من الدعاة الى الله الذين يجمعون بين العلم والعمل ، ويؤثرون في الناس تأثيرا كبيرا ، وهؤلاء من الخير أن يستفاد من قدراتهم في مراكز التدريب ، وفي الجمعيات والمدارس العلمية والمراكز الاسلامية لايجاد عدد يمكن أن يؤدي الحد الواجب ، أو الضروري في مجال الدعوة الى الله تعالى .

تحصين الشباب

● يتعرض الشباب المسلم لعمليات غزو فكرية عديدة تأخذ أشكالا مختلفة ، وتهدف الى العصف بقيمه ونزعه من دينه الحنيف ، واحلال ثقافات وافدة محل الثقافة الاسلامية .. فكيف الطريق الى تحصين الشباب المسلم في مواجهة تلك الالحاديات ؟

ـ يُحمى الشباب المسلم بالتربية الاسلامية الصحيحة وبتأصيل المفاهيم الاسلامية لديه وبتحديد الثقافة الاسلامية التي ينبغي أن يتزود بها حتى تأتي تصوراته منذ النشأة الأولى ومنذ البدء في دخول مجال العلم والثقافة تصورات صحيحة وسليمة .

اما أن يترك الشباب المسلم ليتزود بالمعلومات وينال ثقافته من خلال برامج إعلامية وافدة ، أو من خلال مايكتبه بعض الكتاب الذين منهم الجاهل الدخيل والمدسوس في الصف

الماسونية والبهائية والقاديانية أسلحة فتاكة موجهة لتمزيق المسلمين

التربية الاسلامية ضرورة لحماية الشباب من التيارات الوافدة

الاسلامي فهذا بلا شك من شأنه ان يضر بشبابنا ويجرهم الى طريق غير صحيح .

وهنا تبرز مسؤولية العلماء ، ومسؤوليات المؤسسات التربوية والجامعات الاسلامية في أن تقدم

الزاد الفكري الثقافي الذي يحصن الشباب ويزودهم بالتصورات الصحيحة عن الاسلام ، وعن كل ماينبغي أن يقوم به المسلم في مواجهة التيارات الغازية .

ولا بد من العناية بالكتاب الاسلامي ، وكذا البرامج الإعلامية الاسلامية لما لها من مهمة أساسية في هذا المجال .

ويجب استخدام المؤتمرات والأندية والأنشطة العامة لتوضيح خطورة الغزو الفكري للناس ، وبيان كيفية مواجهته ، وتأكيد ضرورة الحذر ممن يتسمون بأسماء اسلامية ويكتبون باسم الاسلام وهم في الحقيقة ضد الاسلام .

وما أكثر الذين يسيئون للاسلام ـ وان كانوا مسلمين ـ إما عن جهل أو عن حقد وقصد سيىء .

مخاطر الغزو الفكري

● الحاجة الملحة الى صد كل محاولات الغزو الفكري تتطلب بالضرورة تعاون مؤسسات عدة من أهمها وسائل الاعلام .. فكيف السبيل لتطويع هذه الأجهزة في خدمة الثقافة الاسلامية ؟

ـ الواقع أننا اذا نظرنا للعناصر البشرية العاملة في أجهزة الإعلام في البلاد الاسلامية ، وجدناها في الغالب غير مؤهلة للقيام بعمل اسلامي ، فإذا نظرنا للوسائل التقنية فهي تختلف من بلد الى بلد .

ولذا ينبغي أن يعد رجال للاستفادة من هذه الأجهزة إعدادا اسلاميا بحيث يجمعون بين القدرة على الاستفادة من وسائل الاعلام والاستفادة من الخبرات التي أنتجها العقل البشري في هذا المجال من خلال الارتباط الوثيق بالقيم والأسس الاسلامية ..

اننا حين ننظر في كثير من الأجهزة المعاصرة نجد ان الذين يعملون فيها اما أنهم درسوا في البلاد الغربية ، أو تأثروا بالمناهج والطرق المأخوذ بها في

غير بلاد المسلمين ، وهؤلاء التزامهم الديني ضعيف ، ومن ثم فهم عاجزون عن تحصين الشباب المسلم من الغزو الفكري أو الثقافة الوافدة .

ومن هنا تأتي أهمية قيام إعلام اسلامي يؤدي دوره في نشر الثقافة الاسلامية الصحيحة ، وكشف خطط الغزاة الذين يهدفون الى نزعنا من ثقافتنا .

ونحن نرى في الحاضر بوادر قيام إعلام اسلامي على مستوى الجامعات الاسلامية ، وعلى مستوى بعض المؤسسات الخاصة التي بدأت في بذل الاسهام النافع لبناء إعلام إسلامي قوي .

ونحن في المملكة العربية السعودية لدينا عدد من الأقسام الاعلامية في كليات الاعلام ، وكليات الدعوة . هذه الأقسام ، تؤهل الشباب للجمع بين الخبرات العالمية في المجال الاعلامي وبين المعرفة والثقافة الاسلامية الصحيحة .

وليست المسئولية في هذا المجال مقصورة على رجال الاعلام وحدهم ، وإنما هي مسئولية مشتركة بين الجامعات والعلماء والمفكرين ورجال الاعلام . فكل هؤلاء مطالبون بتقديم الدراسات والبدائل الاسلامية ، وأن يقوموا بجهود نافعة في سبيل دعم مسيرة العمل الاسلامي .

إن الشباب المسلم في حاجة إلى البرنامج الهادف والكلمة الأمينة الصادقة والفيلم الاسلامي النافع .

الطوائف الضالة

○ عادت الفرق الضالة كالبهائية والقاديانية للظهور من جديد في بلاد المسلمين ... فكيف الطريق لمقاومتها ؟ وبم تعللون ظهورها في هذه الآونة بالذات ؟

إذا ضعف أهل الحق ، وضعف القائمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أي مجتمع من المجتمعات الاسلامية تظهر هذه الفرق .

إن الطوائف الضالة لا توجد إلا إذا ضعف أهل الحق ، أو حدث الجهل بأحكام الاسلام وابتعد الناس عن المنبع الصافي لهذا الدين .

وعودة تلك الفرق إنما هي نتيجة حتمية لعدم احتكام كثير من تلك المجتمعات إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ذلك ان تلك المجتمعات لو كانت ملتزمة بأحكام الله لما ظهرت مثل تلك الطوائف المضلة .

إن المجتمع الذي يلتزم بدين الله عز وجل في تصوراته وفي كل أعماله إنما هو مجتمع خير يظهر فيه للناس الحق ويدعون إليه ، فإذا أصر صاحب الضلال على معصيته يحاكم ويعاقب ويمنع من نشر ضلالاته وبدعه .

وفي هذه الظروف التي تعيشها عدة دول اسلامية يجب على العلماء ورجال الفكر الاسلامي ان يوجهوا نشاطهم وأقوالهم لفضح أفكار هذه الطوائف وتلك الفرق التي نبتت لتضل الناس ، وكثير منها له علاقة بأعداء المسلمين

الذين يحرصون على ان يتأخر المسلمون ولا تقوم لهم قائمة .

وعلى الحكومات في البلاد الاسلامية ان تدرك خطورة هذه الفرق على الوحدة الاجتماعية ، وعلى تعاون المسلمين فيما بينهم ، ذلك ان الخلاف والفرقة والمذهبية الفكرية من أشد الاسلحة الفتاكة التي تعرض المسلمين للتأخر والتمزق والضعف .

إن الحكومات في الدول الاسلامية يجب عليها أن تعني أولا بإيضاح الحق الذي كان عليه أهل السنة والجماعة وتتابعت عليه الدول الاسلامية منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى العهد الحاضر .

والدول الاسلامية في التاريخ الاسلامي كله كانت تظهر فيها فرق وطوائف لكنها كانت تقمع . وكان العلماء يقومون بدورهم في سبيل بيان الحق وتأكيد ان هذه الفرق فرق ضالة ، ثم تتكاتف السلطات والحكومات مع العلماء لابعاد هؤلاء الضالين عن الساحة الاسلامية حتى لا يضروا الناس .

تطبيق الشريعة

○ كلما ارتفعت أصوات المطالبين بالعودة إلى أحكام الشريعة الاسلامية ، ظهر في المقابل من يزعم أن القوانين الاسلامية جامدة لم تتطور منذ أربعة عشر قرنا ، ومن ثم فهي ـ كما يزعمون ـ غير صالحة للتطبيق في الحاضر .. كيف ترون هذا الزعم ؟

الذي يقول من الناس إن الشريعة الاسلامية غير صالحة لكل زمن ولكل بيئة إما أنه جاهل بهذه الشريعة وبصلاحيتها وغاياتها السامية وجوهرها ، أو أنه عدو للدين وعدو للمسلمين .

إن الالتزام بالشرع الحنيف وتطبيق أحكام الدين هو مقتضى الايمان وأي إنسان يدعي الاسلام ، ويعتقد أن الشريعة غير صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان أو يرى عدم وجوب تطبيقها إنما هو خارج عن هذا الدين .. قال تعالى : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » النساء/ ٦٥

إن مقتضى الايمان أن يلتزم الناس بالشريعة الاسلامية ، وأن يطبقوها ، فإذا كانت لديهم عوائق زمنية أو ظرفية فيجب الاسراع لازالتها .

ويجب ان يتوفر عدد من العلماء المسلمين والمفكرين الاسلاميين لدراسة الواقع في أي مجتمع من المجتمعات الاسلامية ، وللنظر في هذه العوائق ، والتفاهم والتدارس والتشاور حول إزالتها وتطبيق أحكام الدين .

وهذا التطبيق لا يمنع من الأخذ بوسائل الحياة العصرية ، وأن نستفيد من المدنية الحديثة ، وأن نتقدم في وسائل الاتصال ، وأن نخطو خطوات كبيرة على طريق التقدم الصناعي والزراعي ، وغيرهما من المجالات الحياتية .

ثم نقول لأصحاب المزاعم الواهية : ان ما تعانيه البلاد الاسلامية من مشكلات مرده الى البعد عن شريعة الله عز وجل .

أهل الكتاب

○ يحاول البعض ان يجعل من وجود غير المسلمين في المجتمع الاسلامي تكئة لتعطيل تطبيق الشريعة عن طريق الزعم بأن الشريعة تجعل من غير المسلمين مواطنين من درجات دنيا ... فكيف احترم الاسلام حقوق غير المسلمين ؟

نظرة الاسلام لأهل الكتاب والطوائف التي تعيش تحت لواء الدول الاسلامية نظرة واضحة من خلال تاريخ المسلمين الطويل ، ولاشك في أن أي إنسان غير مسلم يتخوف من تطبيق الاسلام عليه ما دام يجهل أحكامه ، ولا يدرك نبل غاياته ومادام محاصرا بتلك المزاعم الحاقدة عن الدين الحنيف .

إن أي مجتمع مسلم فيه أغلبية مسلمة يجب عليه أن يحكم بشريعة الله عز وجل ، ويجب على أفراده وجماعاته المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية ما لم تكن أحكامها معمولا بها . وليس في هذا أدنى انتقاص لحقوق غير المسلمين او تضييق عليهم ، فالأقلية لها احترامها ، ولها حقوقها ، وعليها واجباتها .

ونحن في هذا المجال نتساءل : هل الأقليات الاسلامية منعت من تطبيق انظمة البلاد غير الاسلامية في الخارج ؟ إنها لم تمنعها . وبالتالي البلاد الاسلامية يجب عليها أن تحسم هذه القضية لصالح تطبيق الشريعة الاسلامية .

رابطة الجامعات الاسلامية

○ بوصفكم رئيسا لرابطة الجامعات الاسلامية ... هل لنا أن نتعرف منكم على بعض أنشطة الرابطة ؟

رابطة الجامعات الاسلامية مؤسسة مستقلة ينضوي تحت لوائها أكثر من أربعين جامعة في العالم الاسلامي . وهذه الجامعات تقوم بمهمات عظيمة في البلاد الاسلامية على مستوى تأهيل الدارسين في مختلف التخصصات الاسلامية ، وعلى مستوى الأبحاث والدراسات التي تقوم بها هذه الجامعات ، وكذا مستوى النشر وطباعة الكتب التي تسهم إسهاما كبيرا في فكر المسلمين الصحيح وفي نشر الثقافة الاسلامية الواعية وتنير لهم الطريق في حياتهم .

ورابطة الجامعات الاسلامية تعمل جاهدة لكشف وتعرية التيارات الوافدة والفرق الضالة عن طريق ماتقدمه الجامعات الاسلامية من بحوث ودراسات تفضح تلك التيارات المنحرفة .

وسيظل العلماء والمفكرون والباحثون يقولون ويكتبون وينصحون فيما يستطيعون عمله ، لكن هناك قضايا ليست بأيديهم هم ، وإنما بأيدي فئات أخرى نرجو أن تحسن التوجه للأخذ بأحكام الله عز وجل ؟



هل نام ؟ هل أصابته إغفاءة ؟ أو هو إرهاق وتعب ... ظن معه أنه قد نام ؟

على أية حال فإن عقله ظل نشطا ... يعمل في المنام أكثر مما يعمل في اليقظة . وقد اعتاد صاحبنا على سماع دقات متقطعة كأنها دقات ساعة منبعثة من داخله ثم بعد قليل تتواصل الدقات فتصير رنينا يتلاقى مع الصوت الآتي من المسجد الملاصق لمسكنه : « الصلاة خير من النوم » .

عندها يقوم مسرعا ... وهو يقول سبحان الله ... والحمدلله ... ولا إله إلا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، الحمدلله الذي رد علي روحي ، وعافاني في بدني ، وأذن لي بذكره . أصبحنا وأصبح الملك لله . الحمدلله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور .

ثم أخذ يحدث نفسه ... كنت فيما سبق أقول لنفسي وأنا آوى إلى فراش نومي : أريد أن استيقظ ساعة كذا ... ثم أنام في أي ساعة أريد ، لأصحو في الموعد الذي اخترت بلا عناء ولا تعب ، فما بالي الآن ... لا أدري ... أنمت أم لا ؟ وما بال ساعتي قد أصابها توتر شديد . فهي تدق بعنف وبغير انتظام ، وفي أوقات لم تكن تدق فيها من قبل .

ثم قال : على أية حال .. هأنذا أغسل ذنوبي بقطرات الماء المتساقطة من وضوئي ... ولا يعنيني إذا كنت قد نمت أم لا ، وهل يستطيع واحد من البشر ان يحدد بدقة النقطة الفاصلة بين النوم واليقظة بين الشعور و « اللاشعور » بين الحياة والموت ؟

أني أراها فصولا متداخلة ، وحالات يتنقل الانسان فيها من حالة إلى اخرى ... قبل الميلاد ... حيث لم يكن شيئا مذكورا ، ثم جنينا بمراحله المتطورة ، ثم طفلا ، ثم شابا ، ثم شيخا . ثم تنتهي مسرحية الحياة ثم التحول إلى نوع آخر من الحياة « الحياة البرزخية » أو الموت ، وما بعده .

« تبارك الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور »

● ثم وجد صاحبنا نفسه ، واقفا خلف الامام ، يمثل لبنة في بناء الصف الاسلامي . وبعد ان انقطع عما حوله ، واقبل على الله بتكبيرة الاحرام ، وقرأ دعاء الاستفتاح : « سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك » أنصت لتلاوة الامام الذي قرأ الفاتحة واستعان بالله . وتوكل عليه ، وسأله الصراط المستقيم . بعد ان أقر له بالملك المطلق ، وحمده ، وأثنى عليه .

ثم سكت الامام قليلا ، وخلال تلك الوقفة قرأ المأمومون الفاتحة سرا .

● وبعد الفاتحة قرأ الامام من سورة الحديد ... وكان مما قرأ قوله تعالى : ـ

اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴿٢٠﴾ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿٢١﴾ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴿٢٢﴾ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴿٢٣﴾ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد ﴿٢٤﴾

● نعم تلك هي الحياة في الحقيقة ، فكل نعمة لم يكتب لها الدوام لا قيمة لها ، قال القائل :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

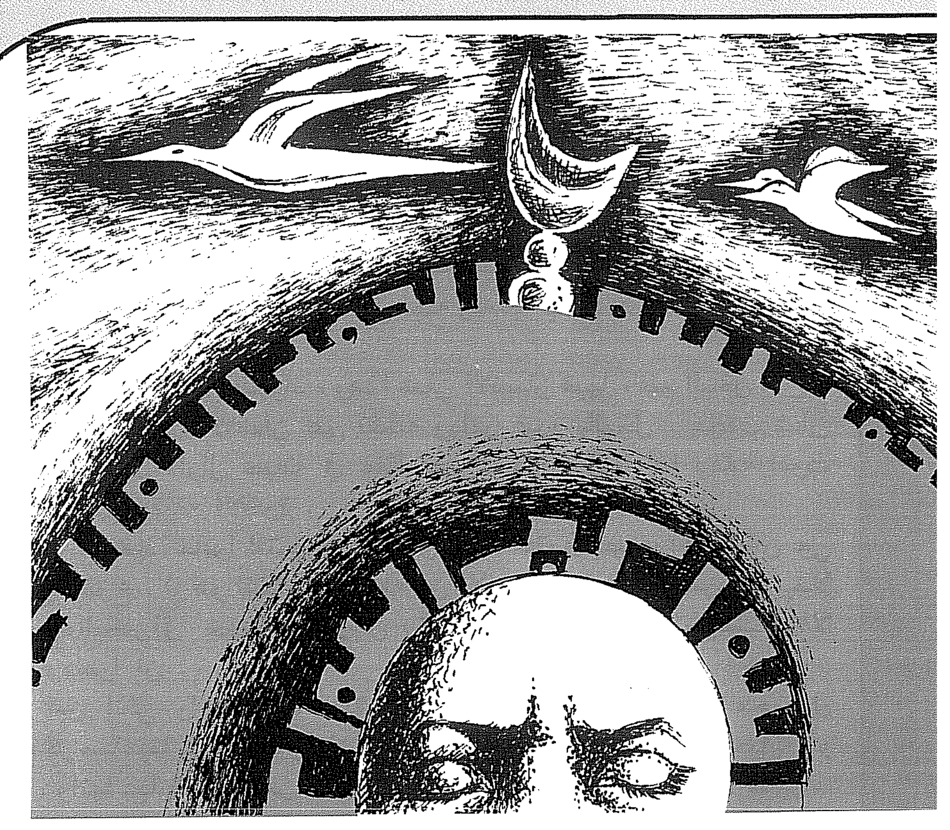
فإذا أزلنا ذاك الغطاء الظاهري الجذاب ، الذي جعلنا نتصارع ونتقاتل في الحياة ، ويظلم بعضنا بعضا ، لو أزلنا ذاك الغطاء لتعرت الدنيا أمامنا ، ولظهرت على حقيقتها ، التي لا تعدو ان تكون لعبة يلهو بها الأطفال . هي لعب ، ولهو ، وزينة ، وتفاخر بأشياء لا قيمة خالدة لها ، وتكاثر في الأموال والأولاد ، والأموال متروكة ، والأولاد إلى فناء . وشأن الحياة كشأن ذاك المطر الذي أصاب أرضا فأنبتت نباتا أعجب الزراع ، ثم أخذ النبات في النمو والنضج ، وبعد الحيوية والنضارة يميل إلى الاصفرار والذبول ، ثم يحصد ، فيكون حطاما .. وكأن شيئا لم يكن ..

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ... ولم يسمر بمكة سامر .

وليت الأمر اقتصر على ذلك . بل كل منا محاسب على ما عمل في هذه الحياة ، وواجد نتيجة سعيه .

حيث القيم الحقيقية هناك في الآخرة ، فإما عذاب شديد ينال الظالمين . وإما مغفرة للذنوب ورضوان من الله لأولئك الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم .. إنه ربك واسع المغفرة . والحياة إذن متاع غرور ... وأن ينبغي ان نجعلها في أيدينا لا في قلوبنا ، وان نتعامل معها بحذر ، ولا نركن اليها ، نعم نحن مطالبون بعمارتها ، وقد استخلفنا الله فيها لذلك ، ولكن ليكن شأننا معها كشأن الضارب في الصحراء ، وقد أضناه المسير والتعب وشدة الحر ، فلجأ الى شجرة ، فاستراح في ظلها ساعة ، ثم راح وتركها ، فقط استراح ساعة ثم راح وتركها . تلك هي الحياة .. فلنخفف من شدة الحرص عليها ، والتكالب على التافه من شئونها ، وليكن سباقنا في الميدان الذي ينبغي فيه التسابق ، الى حيث الجنة التي أعدها الله لمن خافه واتقاه : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » . أعدها الله لعباده بواسع فضله وكرمه ، لا باستحقاقهم لها ، « والله ذو الفضل العظيم » .

وما دام الأمر كذلك ، وما دام هذا شأن الحياة ، فلا تأسوا على ما فاتكم منها . اسى يخرجكم الى ما يسخط الله ، ولا تفرحوا بما أوتيتم فيها فرح بطر يخرجكم عن مرضاة الله ، ولتعلموا ان ما يصيبكم في الأرض أو في انفسكم هو بمشيئة الله ، وقدره .



فما حدث لأطفال « الحافلة » التي اعترضت طريق قطار فشطرها نصفين ، وانتقل الى رحمة الله عشرات من الأطفال ـ هم طلاب مدرسة ابتدائية ـ في مصر ... هو من قدر الله . وابتلاء من الله ، لنتعلم الصبر والرضا والتسليم .

وما يحدث لأخواننا في فلسطين ـ فيما يسمى بالانتفاضة ـ هو من قدر الله ـ وواجب على أهل البلد فرضه الاحتلال ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، والدفاع عن الحرمات واجب . والموت في سبيل الله أسمى الأماني، وذلك كله إرادة الله ... « **ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض** » .

وما الكوارث الطبيعية الا ابتلاء اخر من الله .

غير ان هناك فرقا كبيرا بين ما يصيب الانسان بلا كسب منه ، او ما يقع في الكون من أحداث لا دخل للانسان فيها ، وبين ما يكتسبه الانسان .

ويبذل جهده في كسبه ، ومن ذلك التفجيرات النووية ، واشعال الحروب والفتن في الخليج العربي ، وفي لبنان ، وفي افغانستان ، وفي بقاع اخرى في العالم ، وكلها من فعل الانسان ، نعم هو محكوم بالقانون الالهي ، كشأن اللاعبين داخل الملعب ، ولكنه بما وهبه الله من إرادة وعقل له ان يختار ما يريد داخل ارض الملعب ، ولكنه لا يستطيع الخروج من دائرة الملعب بالكلية ، ولذا فالانسان محاسب على فعله وكسبه في حدود ما منحه الله من حرية اختيار وارادة .

واذا كانت تلك هي الحياة ، وهذا شأن الانسان فيها ، فلم البخل اذن ؟ والأنكى أن يبخل الانسان على نفسه ويأمر غيره بالبخل ، عجيب شأن الانسان ، يظل طوال حياته في غفلة عن الحقيقة حتى اذا دهمه الموت استيقظ على حقيقة الاخرة .

فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . هل هو انتباه المتوفى بعد فوات الأوان على الواقع المفزع . او هو انتباه من حوله من الأحياء ، فقد انتقل من كان يملأ السمع والبصر الى حفرة في الارض ، تاركا كل شيء وراءه ، ولم يصحب الا عمله وعلموا ان :

كل ابن انثى وان طالت منيته يوما على آلة حدباء محمول

تذكر صاحبنا كل ذلك ، وأيقن أن الحياة كلها جملة ناقصة ، لا حياته هو فقط ، وانها عبارة لا يحسن السكوت عليها ، وما نحن في الدنيا الا ضيوف عليها ، ولابد يوما للضيف أن يرحل ، وان كنا نحزن لرحيل عزيز ، فانه حزن لا يخرجنا عن الرضا بقضاء الله وقدره .

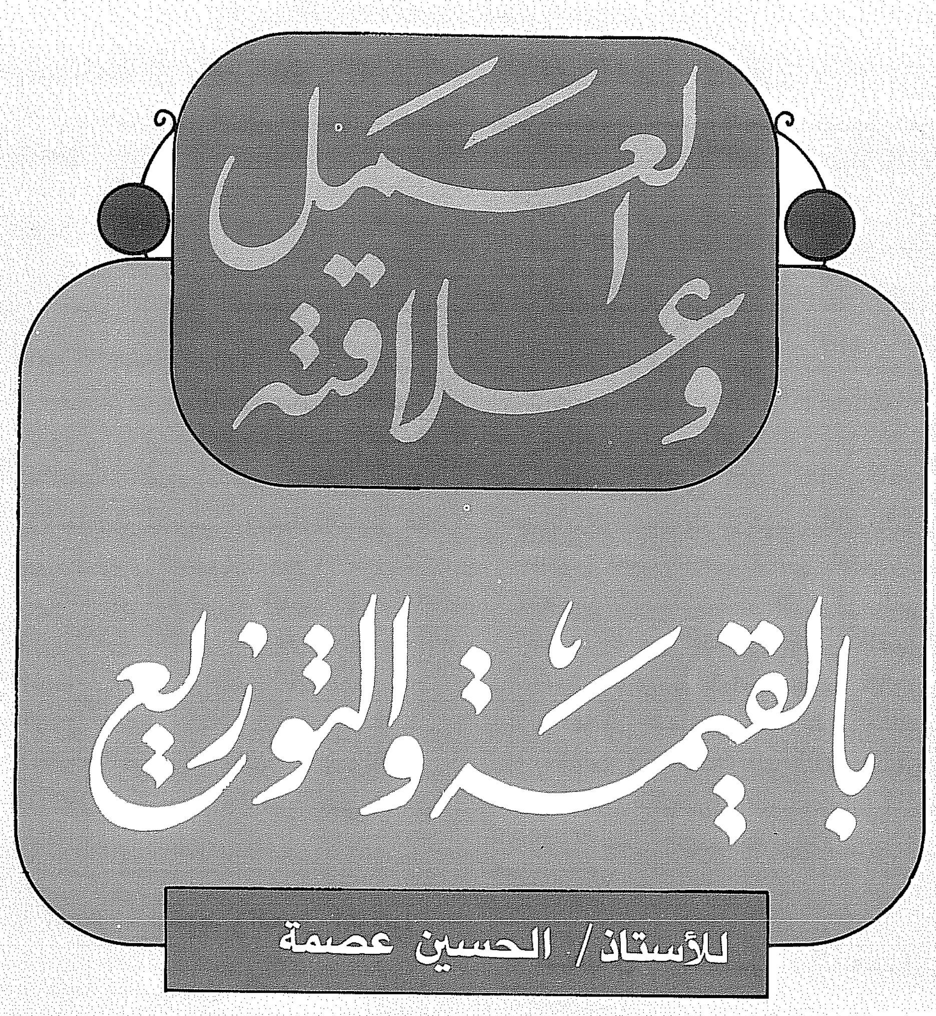
ولا تجزع لريب الدهر واصبر فإن الصبر في العقبى سليم
فما جزع بمغن عنك شيئا ولا ما فات ترجعه الهموم

ثم دعا صاحبنا ربه ان يفرج كربه ، ويستر عيبه ، ويصرف عنه الهم ، ويرحم النازلين به ، فهو الكريم .

ثم قرر ان يأخذ نفسه بهذا المنهج

استر همومك بالتجمل واصطبر ان الكريم على الحوادث يصبر

فهمي الامام



تمهيد

كان نزول آدم عليه السلام من الجنة مشيئة ربانية بكل تأكيد، وهي مشيئة لها دلالاتها وحكمها البالغة. ومن ذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل آدم الى الأرض ليعمرها. وليقوم فيها بدور الخلافة نيابة عنه .. ومن هنا فان آدم عليه السلام وزوجه حواء ـ كانا على موعد اثر نزولهما الى الأرض، مع حياة لا تمت الى حياتهما الأولى في الجنة بصلة، إذ أصبح عليهما منذ اللحظة الأولى لمغادرتهما السماء؛ أن يواجها حياة غاية في القسوة والصعوبة، حياة ليست على استعداد أبدا لتعطي أي شيء بدون مقابل، وعلى آدم ـ هذا الانسان ـ أن يتصدى لهذه الحياة ويخوض غمارها لينتزع منها كل ما عساه يحتاج اليه، حتى يضمن لنفسه البقاء والاستمرار لأداء الرسالة التي القيت على عاتقه، باختصار، إن آدم الذي لم تعد له أية ضمانة الهية من ألا يظمأ في الحياة ولا يضحي ولا يجوع فيها ولا يعرى، كما كان في الجنة، أصبح عليه منذ تركه

لهذه الجنة أن يؤدي الثمن لكل شيء وهذا الثمن ليس شيئا آخر غير الكدح والعمل .

العمل : ما هو ؟

يمكن تعريف العمل ـ عموما ـ **بأنه كل نشاط انساني واع ـ ذهني** أو عضلي ـ يبذل في سبيل اشباع حاجة ما ، أو حاجات مادية كانت أو معنوية ، سواء تم تحقيق هذا الاشباع أو لم يتم ، وبغض النظر عن طبيعة هذه الحاجات وعما اذا كان المجتمع أو العرف أو الدين يقرها أو لا . **(من يعمل سوءا يجز به)** النساء/١٢٣ ويمكن أن نميز بين أنواع عديدة من العمل ـ حسب الحاجة التي يراد إشباعها ـ ونقتصر هنا على ذكر بعضها فقط على سبيل المثال :

* العمل البسيط والعمل المركب :

فيما مضى من العصور ، كانت المتطلبات الحياتية للانسان قليلة بحكم بساطة عيشه ومن ثم فان الحصول على هذه المتطلبات لم يكن يستدعي سوى تدخل بسيط من طرف الانسان في الطبيعة برغم ما كان يستلزمه هذا « التدخل البسيط» من جهد عضلي وانما كان هذا التدخل بسيطا لأن العلاقة بين الانسان والطبيعة كانت مباشرة بمعنى أن الانسان كان يصطاد من النهر أو يقتنص من البرية أو يقطف من الشجرة .. فيأكل مباشرة اللحم أو الفاكهة أو يلبس جلد الحيوان .. دون أن يستدعي الأمر عملية تحويل أو تحسين لما تجود به الطبيعة .. بل كان الانسان ينتفع بما يجده أمامه كما هو ، في شكله أو حالته الطبيعية وشيئا فشيئا وكلما وصل عقل الانسان وادراكه الى مرحلة معينة من النضج طور أدواته تطويرا يناسب مستوى ذكائه ويستجيب لمستجدات المتطلبات الانسانية التي تتكاثر وتتعقد باستمرار والتي يتطلب اشباعها مباشرة أعمالا مركبة أي التي تستدعي حصيلة مسبقة من التجارب والمعلومات بمعنى آخر الأعمال التي تتطلب نوعا من التأهيل بعكس العمل البسيط الذي لا يتطلب جهدا فكريا كبيرا فعمل المهندس مثلا عمل معقد لما يفترض في المهندس من أنه انسان قضى وقتا معينا في التحصيل قبل مباشرة عمل الهندسة بعكس عمل البناء مثلا .

* العمل الذهني والعمل الجسدي :

أو العمل غير المنتج والعمل المنتج . وهذا لا ينقص من قيمة العمل الفكري ولكن فقط لأن هذا الأخير لا تترتب عنه سلع مادية بعكس العمل اليدوي .. ومن الطريف والمؤسف معا أن نذكر ان الانسان فيما مضى من الزمن قد احتقر العمل اليدوي احتقارا شديدا لذا لم يمارسه سوى العبيد على أساس انه عمل أقرب ما يكون الى عمل الحيوان ! في حين استأثر الاشراف والنبلاء بالأعمال الفكرية والتأملية

على اعتبار أنها لون من ألوان الأعمال الراقية . ولعل هذه المسألة تتضح في شيئين : كل المنجزات العمرانية القديمة كالأهرامات والمسلات ونحوهما والني ننسبها ظلما الى الملوك والأباطرة الغابرين . انماشيدت في الحقيقة بأذرع العبيد وسواعدهم وتحت سياط السادة والنبلاء وطغيان طابع الحكمة والتفلسف على كافة مناحي المعرفة القديمة حتى العلمية منها كالرياضيات والطب وغيرهما من العلوم المحضة .

* العمل الضروري والعمل الاضافي :

العمل الضروري يقصد به المدة الكافية من العمل لتوفير كل الحاجيات الضرورية لحياة العامل في مجتمع معين وزمان محدد ، بينما يقصد بالعمل الاضافي ، والذي لا يكون الا بعد انجاز العمل الضروري فيتمثل في المدة التي يقضيها الانسان العامل في نشاط ما لأجل الحصول على بعض الكماليات .

ان تحسين الظروف الاجتماعية لأية أمة يمكن أن يقاس بكمية العمل الاضافي بالنسبة لمجموع العمل بمعنى أنه كلما كانت نسبة العمل الاضافي كبيرة دل ذلك على أن الناس أو أغلب الناس ، قد تجاوزوا اشباع الضروريات الى الاستمتاع بالكماليات . أما عندما تطغى نسبة العمل الضروري على نسبة العمل الاضافي .. فذلك يعني ان الناس أو أغلب الناس ، ما زالوا لم يتمكنوا حتى من اشباع ضرورياتهم .

والملاحظ ان العمل الضروري هو الذي كان سائدا من قبل عندما كانت وسائل الانتاج بسيطة لا تكاد تسمح حتى بانتاج الضروريات للسواد الأعظم من الناس ولا يستمتع بالكماليات الا النخبة المصطفاة في المجتمع . ولكن بعد ما سمي بالثورة الصناعية والتي تمثل الانطلاقة الحقيقية الأولى للرأسمالية أصبحت الآلات تدور باستمرار لتلفظ ألوانا واشكالا من المنتوجات ولتكتسح هذه المنتوجات في وقت وجيز كل الطبقات الاجتماعية لتخلق بذلك حاجات لم تكن سائدة من قبل ولتحول كماليات الأمس الى ضروريات لا غنى عنها كالسيارات مثلا وهكذا كلما قطعت أمة أشواطا من التقدم المادي ازدادت دائرة الضروريات اتساعا في مقابل تقلص مدة العمل الضروري .

العمل أساس القيمة :

ليس من الاقتصاديين الوضعيين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم الا من ربط ـ بشكل أو بآخر ـ بين قيمة أية سلعة وبين كمية العمل الذي أهرق في سبيل انتاجها .

* فقد اعتبر دافيد ريكاردو ـ الاقتصادي الكلاسيكي المعروف ـ أن السلعة مدينة في قيمتها للعمل البشري وحده دون وسائل الانتاج الأخرى التي ترافق هذا العمل في اثناء العملية الانتاجية . وذلك رغم اعترافه الضمني بالزمن كعامل منتج للقيمة . اذ تتضح هذه المسألة جليا

عند الدكتور ريكاردو بعدم شجبه للربح الرأسمالي رغم أن رأس المال بالنسبة اليه لا يخلق قيمة تبادلية جديدة وبمحاولته لتبرير الربح بالفترة الزمنية التي تمضي بين الاستثمار وظهور المنتجات للبيع وبهذا اعترف ـ ضمنيا ـ بالزمن بوصفه عاملا آخر لتكوين القيمة التبادلية .

* وبرغم ان ماركس يرفض رفضا شديدا هذا التبرير الريكاردي للربح الا أنه مع ذلك يتبنى أطروحة ريكاردو القائلة بأن العمل هو وحده أساس كل قيمة وبالتحديد يرى ماركس ان القيمة الاقتصادية أو القيمة التبادلية لسلعة ما تعزى الى العمل الذي أهرق لأجل انتاجها ويتحدد هذا العمل في عدد الساعات الضرورية اجتماعيا بالنسبة لعامل متوسط الكفاءة يشتغل بأدوات شائعة الاستعمال في مجتمعه وعلى هذا الأساس فان كل مادة لايكون مصدرها العمل البشري لاتدخل في اطار السلع وبالتالي فهي ليست ذات قيمة تبادلية وهكذا أسقط ماركس من حسابه كل الموارد الطبيعية من أرض واشجار ومياه لكونها لا تجسد أي نوع من العمل . والحقيقة ان الذي يقف وراء اصرار ماركس هذا على اعتبار العمل البشري كأساس وحيد لمتغير القيمة هو رغبته في المحافظة على البناء الداخلي لمذهبه فهو يحتاج الى نظرية القيمة هذه كأساس لأطروحته عن القيمة الفائضة ولاقامة الدليل بعد ذلك على استغلال العمال من طرف الرأسماليين .. اذ بالنسبة اليه يعتبر أن أصل الربح هو العمل الاضافي الذي يؤديه العامل دون أن يحصل مقابله على أجر أو ما يسميه ماركس بالقيمة الفائضة .. وتعليل ذلك عنده هو أن المالك أو الرأسمالي الذي يستخدم العامل لعدد معلوم من الساعات يكون قد اشترى من العامل قوة عمله في حين يعطيه الأجير العمل نفسه .. وهكذا تمثل القيمة الفائضة ـ أساس الربح ـ الفرق بين ما يعطيه العامل وما يتسلمه أي ما يستولي عليه المستخدم على حساب المستخدم .

التوزيع وعلاقته بالعمل :

بشكل عام ، وفيما يخص المدرسة الكلاسيكية فإن جل روادها يرون أن توزيع القيم المنتجة على عناصر الانتاج (العمل ـ رأس المال ـ الأرض) يتم حسب «قانون طبيعي» يحقق الاشباع الاجتماعي ويقيم العدالة الشاملة وهو قانون الثمن أو بتعبير آخر قانون العرض والطلب الذي يتمخض عنه الثمن في اطار المنافسة الكاملة .. فكل عنصر من عناصر الانتاج يتحدد نصيبه من القيمة ـ التي أسهم في خلقها الى جانب العنصرين الآخرين ـ حسب ثمنه الاسمي (Prix Nominol) أي الثمن الذي يتوافق فيه العرض والطلب .

وقوة العمل سلعة كباقي السلع لها ثمن هو الأجر ، وحسب هذا الأجر يتحدد نصيب العامل من الثروة المنتجة . بمعنى أنه كلما كان الأجر مرتفعا كانت الحصة التي يستولي عليها العامل من القيمة المنتجة مهمة والعكس بالعكس ولكن المعروف ان

جل الكلاسيكيين يتبنون ما يسمى بالقانون الحديدي للأجور ، والذي يعني أن أجر العامل من الطبيعي أن يكون دائما في حدود ما يكفل لهذا العامل البقاء والاستمرار وهكذا ففي الوقت الذي يعترف فيه جل الكلاسيكيين للعمل بالقدرة على خلق القيمة الاضافية يرون أن العامل محكوم عليه طبيعيا أن يقنع بما يقيم أوده .

ولقد كان من نتائج هذا الحيف المبالغ فيه الذي مارسه الكلاسيكيون تجاه العمال ، ان خلق جوا ملائما لظهور فكر متطرف كالفكر الماركسي الذي ناقض الفكر التقليدي في كلياته وجزئياته حتى كأنه صورة مقلوبة عنه وفيما يخص مسألة التوزيع فان ماركس يعتقد أنه يجب أن يتم حسب العمل والعمل وحده فيملك كل عامل نتيجة عمله وكذلك المادة التي أنفق فيها هذا العمل لأنها انما أصبحت ذات قيمة بسبب العمل وينتج عن هذا القاعدة التالية : « **كل حسب عمله** » بمعنى أن الأجر يجب أن يساوي كل القيمة التي خلقها العمل وحده ، الربح والريع وكل أنواع المداخيل ليست في الحقيقة الا أشكالا مختلفة لشيء واحد هو فائض القيمة الذي أنتجته قوة العمل .

○ في الاسلام : تمييز أولي بين العمل الصالح والعمل السيىء :

في دائرة الاسلام لا يلعب العامل المادي الا دورا فرعيا ـ على أهميته . الى جانب العامل الديني فهذا الأخير يشكل الدائرة التي يجب أن تنصب فيها كل اهداف وحركات الفرد المسلم أو الجماعة الاسلامية وكل سلوك جاءت نتائجه خارج دائرة الدين يعد مرفوضا مهما كانت نتائجه هذه ثقيلة في الميزان المادي (**وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**) الفرقان/٢٣ وعلى هذا الأساس يمكن أن نميز في اطار الاسلام بين نوعين من العمل : العمل الصالح والعمل السيىء (**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها**) فصلت/٤٦ والعمل الصالح يترتب عليه كل أنواع الطيبات مادية كانت أم معنوية ويترتب على عمل السوء كل أنواع « الخبائث » المادية والمعنوية بل ان مجرد العمل في اتجاه الطيبات يعد عملا صالحا حتى وان لم يتم التوصل اليها ومجرد العمل والتحرك في اتجاه الخبائث يعتبر عملا سيئا حتى وان لم يتم تحقيقها لأن « الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » .

في الاسلام : العمل طريق الكسب والامتلاك :

يتجلى تقديس الاسلام للعمل واضحا في أن جعله أساسا للكسب وسببا من أسباب الامتلاك (**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم**) البقرة/٢٦٧ وما اعتراف الاسلام بالملكية الخاصة الا احدى الدلالات على احترام جهود العامل وثمار عمله ، وتشجيعا له على مزيد من العمل في حدود ما شرع الله ، وإعلان

الرسول صلى الله عليه وسلم بأن « من أحيا أرضا ميتة فهي له» رواه احمد دل على ان العمل يترتب عليه بالأساس حق تملك نتائج هذا العمل من العامل ويحسن آن نورد هنا حادثة ذلك الرجل الذي أتى يسأل النبي صلى الله عليه وسلم فأرشده الرسول صلى الله عليه وسلم إلى طريق يتكسب منه .

وأمره أن يبيع الحلى الذي في بيته والقعب الذي يشرب فيه الماء ، فباعهما بدرهمين أنفق درهما منهما على نفسه وأهله ، واشترى بالدرهم الآخر قدوما ، ثم ذهب يحتطب ، وعن طريق هذا العمل ، استطاع الرجل ان يصون نفسه عن ذل السؤال .
ولهذا دلالات كثيرة نشير إلى بعضها :

فهذه الحادثة تحمل دلالات كثيرة نشير الى بعضها فيما يلي :
* حق تملك العامل ثمار جهوده .
* الاسلام يعتبر العمل والاعتماد على النفس أفضل طريق لمحاربة الفقر والاستغناء عن الناس .
* ضرورة ايجاد العمل من طرف الدولة لكل عاطل عنه مع القدرة عليه أو تيسير السبيل أمامه لايجاده بنفسه .
* قبول أي نوع من العمل الشريف من طرف العامل عندما يكون في حالة بطالة معلنة .
* في فترات أزمات الشغل ، يمكن أن يشترك كل من العمال والدولة في ايجاد وسائل الانتاج لصالح العمال .
* ذم المسألة والتواكل مع القدرة على العمل والانتاج .

الاسلام ومعادلة العمل والقيمة :

اذا كانت القيمة التبادلية للسلعة تعزى - عند الاقتصاديين الوضعيين عموما - الى العمل المتمثل فيها وحده ، كما ذهب الى ذلك ماركس ومن قبله ريكاردو فان الاسلام أو الاقتصادي المسلم وان كان يعترف بدور العمل في خلق القيمة التبادلية لأية سلعة الا أنه يأخذ في الاعتبار عوامل أخرى تحتمها طبيعة النظرة الاسلامية الى السلعة .. فكمية العمل التي تتجسد في أية سلعة غير كافية وحدها لتقويمها اذ لا بد أولا من معرفة ما اذا كانت هذه السلعة من الطيبات أم من الخبائث ، فاذا كانت من الخبائث فلا قيمة لها مطلقا مهما استدعى صنعها من ساعات عمل لأنها لا تمثل أية مصلحة داخل المجتمع الاسلامي : قال : صلى الله عليه وسلم - (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميته والخنزير والاصنام) متفق عليه. وحتى اذا كانت هذه السلعة من الطيبات فلا بد من معرفة أي نوع من العمل ذلك الذي أدى الى ايجادها . فقد يقر الاسلام نوعا من السلع لوجود مصلحة بها أو لعدم وجود أي ضرر بها ، ولكن قد يسلك الانسان لأجل ايجادها سبلا لا يقرها الشرع الحكيم . ومن ثم تصبح السلعة مرفوضة لأنها جاءت بطريقة غير شرعية ومعلوم أن في الاسلام « الغاية لا تبرر الوسيلة » .
وأخيرا لا بد من معرفة أية أنواع من الحاجات تلك التي بإمكان السلعة

اشباعها .. بمعنى أن السوق من جانبه هو الآخر يتدخل في تحديد قيمة السلعة ويظهر ذلك في أهمية الاقبال أو الطلب الذي يكون على هذه السلعة أو تلك .

الاسلام ومسألة التوزيع :

ان التوزيع عملية لا بد من التطرق إليها في الاطار المذهبي العام حيث لاتشكل الا حلقة واحدة في سلسلة متماسكة من العمليات الأخرى بمعنى ان التوزيع ليس في النهاية الا نتيجة منطقية لجملة من المبادىء النظرية حول الانتاج والقيمة ونحوهما .

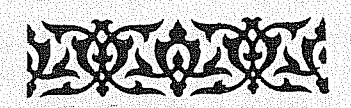
وهكذا فاذا كان الكلاسيكيون يرون أن عملية التوزيع انما تتم بطريقة ميكانيكية وحسب قانون طبيعي يكفل مصالح الجميع فلأنهم يؤمنون بأن هذا القانون هو الذي يحكم الحياة الاقتصادية كلها ومن ثم كانت دعوتهم مثلا الى العمل على توفير المناخ المناسب لأجل أن يعمل هذا القانون بكيفية طبيعية وذلك بتحييد الدولة في المجال الاقتصادي وضمان الحرية الاقتصادية ...

وكذلك اذا كان الماركسيون يرون أن عملية التوزيع يجب أن تتم حسب العمل والعمل وحده فلأنهم يرون ان القيمة التي يراد توزيعها إنما خلقها العمل والعمل وحده .

وفيما يخص النظرية الاسلامية عن التوزيع فانها ايضا تنبع بالضرورة من مبادىء الاسلام العامة ، عن العدالة والتكافل الاجتماعي ونظرته الى الانسان ودوره في الحياة وباجمال فان الاقتصاديين المسلمين يرون ان عملية التوزيع يجب أن تتم حسب معطيين أساسيين هما : العمل والحاجة : فأما العمل فيضمن نصيب كل فئة اجتماعية قادرة ليس فقط على توفير معيشتها بل ايضا على توفير الكثير من الكماليات .

أما الحاجة فتضمن نصيب الفئات التي لا يمكنها أن تعمل بالمرة لضعف بدني مزمن أو عاهة جسدية أو عقلية وذلك على أساس الكفاية العامة في المجتمع الاسلامي .

وهناك فئات اجتماعية أخرى بين هذه وتلك وهي الفئات التي تستطيع بالكاد توفير ضروراتها وهذه الفئات تعتمد في دخلها على العمل والحاجة معا : فالعمل يكفل لها معيشتها الضرورية والحاجة تدعو وفقا لمبادىء الكفالة والتضامن الى زيادة دخلها بأساليب وطرق محددة في الاقتصاد الاسلامي ليتاح لها العيش بالدرجة العامة من الرفاهة .





كان الأستاذ خالد - مدرس التاريخ في ثانوية الكواكبي بحلب . معروفا بآرائه الصريحة التي كان يبثها في نفوس الطلاب في جرأة يحسده عليها المخلصون ، ويخافها عليه المحبون من تلاميذه وزملائه وأصدقائه .

وكان الأستاذ خالد معجبا بأبطال الأمة العربية ، فكان يدرس شخصياتهم وتفاصيل حياتهم ، ويتحدث عنهم في اعتزاز وإعجاب ويقول :

يجب أن ندرس حياة هؤلاء الأبطال الميامين ، ونتعلم منهم ، كما يجب علينا أن نعلم أبناءنا وتلاميذنا الشيء الكثير عن أولئك الرجال العظام وأن نحببهم فيهم ، حتى نتمكن من زرع روح البطولة في نفوسهم ، وننمي الرجولة في شخصياتهم ، ليشبوا رجالا عظاما يعملون على إعادة الأمجاد لأمتهم العربية ، ولشعوبهم المقهورة .

وقف الأستاذ خالد ذات يوم في الصف وقال :

- اسمعوا - يا أبنائي الطلاب - وافهموا كل كلمة أقولها لكم ، فسوف أحدثكم عن شخصية فذة من أبناء مدينتكم حلب ، كان له اثر كبير في تحرير النفوس ، تمهيدا لتحرير البلاد من حكم الغرباء والمستعمرين والمستبدين الظالمين .

سأل أحد الطلاب في اهتمام :
ـ ومن يكون هذا البطل الحلبي يا أستاذ ؟
فأجابه الأستاذ خالد :
ـ إنه المفكر العبقري عبد الرحمن الكواكبي الذي سميت مدرستكم هذه باسمه ، تخليدا لاسمه وآرائه وذكراه .

وتابع الأستاذ خالد يقول :
فقد كان الكواكبي كاتبا أديبا ، ومصلحا سياسيا واجتماعيا عظيما يحق لأبناء العروبة أن يعتزوا به ، ويقرأوا كتبه بإمعان ، ويتشبعوا بمعاني الحرية التي كان يقدسها ويعتبرها أعظم نعمة من بها الله على الانسان ، وأن يكونوا أعداء اشداء على الظالمين والمستبدين ، سواء أكانوا من العرب أم من الأجانب ، وألا يرضوا بحكم الغريب مهما كانت الظروف والمسوغات (المبررات) .

وقد دفع الكواكبي راحته وماله ومستقبله ثم حياته كلها ثمنا لآرائه الجريئة هذه ، فقد تألب عليه الحكام وأذنابهم والخونة وأتباعهم ، فسجنوه وصادروا أمواله وطاردوه من بلد الى بلد حتى تمكنوا من سمه فمات شهيدا مسموما في مصر ، وعمره لا يتجاوز ثمانيا وأربعين سنة فقط .. تصوروا يا أبنائي ، خلال هذا العمر تمكن الكواكبي من أن يملأ الدنيا ويشغل الناس بما كان يكتب ويخطب ويدعو إليه من رأي حصيف يدل على عقل راجح .

قال أحد التلاميذ ، وكان تلميذا مبرزا ذكيا .
ـ لقد حدثتنا ـ ياسيدي ـ عن الكواكبي كلاما عاما ، وقد شوقتنا لسماع تفاصيل حياته . فهل نطمع منك ـ يا أستاذ ـ في سرد تفصيلات حياة هذا الرجل العظيم ؟

ابتسم الأستاذ خالد لأنه استطاع أن يثير اهتمام تلاميذه بهذه المقدمة ، ثم اتخذ هيئة جادة وقال :
ـ أجل يا أبنائي .. لكم ما تطلبون ، فاسمعوا وعوا ما اقوله لكم :
ولد عبد الرحمن الكواكبي في مدينة حلب ، وفي حي الجلوم الجواني . عام ١٨٥٤ في اسرة عرفت بالعلم ، والفضل والأدب والدين كان جده مسعود شاعرا ، وكان أبوه عالما يدرس في الجامع الأموي الكبير بحلب ، ويتولى ادارة المدرسة الكواكبية التي أنشأها على غرار الجامع الأزهر وكانت حلب ولاية مهمة من ولايات الدولة العثمانية فكان والي حلب يحمل رتبة وزير او مشير أو باشا .

وكان للولاة صلاحيات مطلقة ، وأحكامهم قطعية ، وكانوا يأخذون

أموال الناس عن طريق الرشوة والهبات والاغتصاب .. ومع ذلك كانت حلب مدينة العلم والعلماء ، وكان فيها اول مطبعة عربية أنشئت في الشرق ، فقد اسست في العشر الأول من القرن الثامن عشر وكان فيها جرائد ومجلات ومدارس ومعاهد ومكتبات كثيرة .. وفي هذه البيئة الثقافية ، يا أبنائي ، نشأ الكواكبي ، فأتقن اللغة العربية والتركية والفارسية ، وأخذ العلوم العربية والأدبية والشرعية والتاريخية على أيدي كبار العلماء بحلب ، ولكنه لم يكتف بما أخذ عن هؤلاء ، بل أكب على القراءة والتحصيل العلمي ، حتى أنه ما كان يأنف أن يأخذ العلوم العصرية عن أولاده التلاميذ . وكان يجتمع بأصدقائه العلماء والأدباء والشعراء ، ويتداولون في الشؤون الثقافية والسياسية والاجتماعية ، فكان بهذا مثال العالم الساعي الى خير شعبه وأمته .

سأل التلميذ عادل :
ـ هل كان لأمه دور في تربيته يا أستاذ ؟
أجاب الأستاذ خالد :

ـ نسيت أن اقول لكم ـ يا أبنائي ـ إن أمه توفيت وهو ابن ثلاث سنين فأخذته خالته وربته عندها في إنطاكية ، وكانت خالته هذه من نوادر النساء مشهورة بأدبها وذوقها وكبر عقلها ، وكان أبوها مفتيا في انطاكية ، وكان لها أثر عظيم في تربية الطفل عبد الرحمن الكواكبي .
وكان للمكتبات العامة والخاصة في حلب أكبر الأثر في تكوين شخصية الكواكبي ، خاصة أن أهل حلب يعتقدون أن الكتب تجلب الرزق فكان يستكثر من اقتناء الكتب .

قال التلميذ :
ـ كنا نظن ـ يا أستاذ ـ أن المطابع والجرائد والمدارس لم تكن موجودة في عصر الكواكبي .
فرد عليه الأستاذ خالد قائلا :
ـ قلت لكم : إن أول مطبعة في الشرق كانت في حلب ، ثم تلتها عدة مطابع أخرى لايزال بعضها موجودا حتى الآن في حلب والكواكبي نفسه اسس في حلب جريدتين هما : جريدة الشهباء سنة ١٨٧٧ ثم جريدة الاعتدال سنة ١٨٧٩ وكان قد جلب مطبعة حجرية من استانبول عام ١٨٧٨ لطباعة جريدتيه ، ولكن الحكومة العثمانية ضبطتها وصادرتها كما عطلت له الجريدتين ، لأنه كان يدعو فيهما الى الحرية والثورة على الظلم والظالمين .
وكان نصيرا للفلاحين ، ويدعوهم الى الثورة على الاقطاعيين وكان

متواضعا للبائسين والفقراء ، وكان متكبرا على الأغنياء ، والحكام ويناصر الضعفاء عليهم .

وكان في حلب ـ يا أبنائي ـ جريدة ثالثة ، وفي سنة ١٩١١ بلغ عدد الجرائد والمجلات في حلب وحدها تسع عشرة صحيفة .

سأل احد الطلاب :

ـ ألم يعمل الكواكبي في وظائف الدولة يا أستاذ ؟

فأجاب الأستاذ خالد :

ـ بلى يا بني ، لقد عمل الكواكبي في عدة وظائف حكومية ، فقد عمل محررا في احدى الصحف الرسمية ، ثم رئيسا لكتاب المحكمة الشرعية ، ثم قاضيا شرعيا ، ثم رئيسا لبلدية حلب ، ولكنه لم يكن يحرص على الوظيفة فانتقل الى العمل في الصحافةتارة ، وفي التجارة والمشاريع العمرانية مرات وكان في كل مايعمل نزيها ، عادلا ، مستقيما يسعى في قضاء حاجات الناس ، ويواجه مايعترضه من مشكلات بشجاعة ، لأنه كان يحب الحق ، ويضحي من أجل المبدأ والفضيلة ..

وقد ندد الكواكبي في افتتاحية العدد الأول من جريدته (الشهباء) بتصرفات الحكومة ، وفضح سوءآت الموظفين وبين ما تحتاج إليه الأمة من إصلاحات يتغافل الحكام عن القيام بها ، من نشر الأخلاق الفاضلة ، والتمسك بأهداب الدين الحنيف ، وتوسيع دائرة المعارف ، بنشر الابحاث العلمية التي سبقنا بها الأوروبيون ، والأبحاث السياسية لتوعية الشعب ، ليعرف حقوقه وواجباته .. الأمر الذي جعل الحكام يضيقون به وبآرائه ، ويضايقونه فعطلوا له جريدة (الشهباء) فأغلقوها وصادروها مع مطبعته الحجرية ، عندئذ قرر الكواكبي مغادرة حلب الى مصر ، هربا من رقابة العثمانيين على قلمه الحر .

سأل التلميذ احمد أستاذه قائلا :

ـ ولماذا إلى مصر يا أستاذ ؟ ألم تكن مصر تابعة للدولة العثمانية ؟

فأجاب الأستاذ خالد في حزن :

ـ كانت مصر ـ يا أحمد ـ بعيدة عن التسلط التركي ، وكانت قد بدأت فيها نهضة أدبية وفكرية وسياسية وفنية ، فهاجر إليها كثيرون من أحرار العرب ، وأسسوا فيها المطابع والجرائد والمسارح ، وكان قد ظهر فيها مفكرون عباقرة من أمثال جمال الدين الافغاني وتلميذه محمد عبده ، ورشيد رضا ، وغيرهم وغيرهم ، ولكنها ـ للأسف ـ كانت واقعة تحت سيطرة الاستعمار الانكليزي .

قال أحمد :

ـ وهل كان الكواكبي عدوا للأتراك وصديقا للانكليز يا أستاذ ؟

فأجاب الأستاذ خالد في جدية واهتمام :

ـ لا ـ يا أحمد ـ الكواكبي ما كان يحارب الاتراك لأنهم أتراك وإنما كان يحارب الاستبداد السياسي لدى الأتراك وتسلطهم على العرب وتخلفهم ، ووقوفهم في وجه الأفكار الحرة .
وأستطيع أن أقول لكم : إن الكواكبي قد تألم من زحف الاستعمار الأوروبي على الشرق للاستيلاء على تركة (الرجل المريض) وهذا هو الاسم أو الوصف الذي كان يطلقه الأوروبيون على الدولة العثمانية ـ ولذلك . كان يهاجم المستعمرين والحكام الغرباء ، وكان يستثير الهمم لتقف الشعوب العربية والاسلامية ضدهم ولتطردهم من بلادها ، لأنهم حكام غرباء وظلام ومتسلطون .

وفي مصر ـ يا أبنائي ـ اتصل الكواكبي بالأدباء والمفكرين والسياسيين والصحفيين ، وراح يكتب في الصحف بتوقيع مستعار ، كان باسم (الرحالة : ك) إشارة الى الحياة المضطربة غير المستقرة التي كان يعيشها ، فقد كان الكواكبي كثير الأسفار والتنقل في الدول الآسيوية والافريقية ، كما كان يخفي اسمه كيلا يتعرض هو وأهله لا نتقام الحكام الظالمين في حلب وفي مصر .. ومن هذه المقالات كان كتابه الرائع : (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) الذي دعا فيه إلى الحرية بجرأة وشجاعة نادرتين ، فقد استعمل فيه ذكاءه ، وصب فيه تجاربه واطلاعه الواسع على أحوال الشعوب المقهورة ، ونقد فيه الحكومات الاسلامية
وهذه الموضوعات كانت محرمة على الكتاب والمفكرين ، ولا يجرؤ على الكتابة فيها إلا من كان مثل الكواكبي شجاعة وثقافة وقوة حجة ، وقد بين سبب تأليفه هذا الكتاب فقال : « أردت بذلك تنبيه الغافلين لمورد الداء الدفين ، عسى أن يعرف الشرقيون أنهم هم المتسببون لما هم فيه فلا يعتبون على الأغيار (أي أحداث الدهر المتغيرة) ولا على الأقدار .
إن الكواكبي ـ يا أبنائي ـ كان يرى أن الاستبداد مفسد للأخلاق ، ومفسد للتربية ، وعدو لدود للعلم والعلماء ، لذلك كان يدعو أبناء الأمة الى العلم والى التخصص في العلوم العملية ليلحقوا بركب الحضارة كما كان يرفع شعار الاصلاح والتطهير في مجال العقائد الدينية لأن الاسلام بريء من كل ما ينسب إليه من تواكل وعادات فاسدة وخرافات مضلة ، كما يرى أن تعاليم الاسلام إذا تمسك بها الناس فإنها سوف تميت الاستبداد ، وتحيي العدل ، ومن أجل أن يتحقق هذا لا بد من حرية البحث والبحث العلمي .
وكانت هناك خرافة تقول : إن الأمة تحتاج إلى المستبد العادل ، فتصدى لهذه الخرافة وقال : ليس هناك مستبد عادل ، فالاستبداد ضد العدل ، والمستبد يعشق الخيانة ، ولذلك يخون الحكام المستبدون .
قال التلميذ جلال .
ـ نريد أن نرى كتاب (طبائع الاستبداد) يا أستاذ .

وقال تلميذ آخر :
ـ نريد أن تسمعنا بعض النصوص من كتاب (طبائع الاستبداد) ياأستاذ .
وهنا فتح الأستاذ خالد محفظته وأخرج منها كتاب : (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) وفتحه وراح يقرأ : « ياقوم .. ما هذا التفاوت بين أفرادكم ؟ وقد خلقكم ربكم أكفاء (أي متماثلين) في البيئة أكفاء في القوة ، أكفاء في الطبيعة ، أكفاء في الحاجات ، لا يفضل بعضكم بعضا إلا بالفضيلة ، ولا ربوبية بينكم ولاعبودية ، والله ءليس بين صغيركم وكبيركم غير برزخ (اي حاجز) من الوهم » .
« متى تستقيم قاماتكم ؟ وترتفع من الأرض إلى السماء أنظاركم ؟ وتميل الى التعالي نفوسكم ؟ فيستقل كل إنسان منكم بذاته ، ويملك إرادته واختياره ؟ » .
وقال الكواكبي في موضع آخر : « أطلقت الأمم الحرة حرية الخطابة والتأليف والمطبوعات ، مستثنية القذف فقط .. ورأت أن تحمل مضرة الفوضى في ذلك ، خير من التحديد ، لأنه لاضامن للحكام أن يجعلوا الشعرة من التقييد سلسلة من حديد ، يخنقون بها عدوتهم (الطبيعة) اي الحرية وقد حمى القرآن الكريم قاعدة الاطلاق بوضعه قاعدة « **ولا يضار كاتب ولا شهيد** » سورة البقرة آية ١٨٢ .

وقال الكواكبي في موضع اخر من كتابه هذا « ترتعد فرائص المستبد من علوم الحياة ، مثل الحكمة النظرية ، والفلسفة العقلية وحقوق الأمم ، وسياسة المدنية ، والتاريخ المفصل ، والخطابة الأدبية
وغيرها من العلوم الممزقة للغيوم ، المبسقة للشموس ، المحرقة للرؤوس »
« المستبد لا يخاف من العلوم كلها ، بل من التي توسع العقول وتعرف الانسان ما هو الانسان ، وما هي حقوقه ، وهل هو مغبون ؟ وكيف الطلب ؟ وكيف النوال ؟ وكيف الحفظ ؟ »
وقال الكواكبي ايضا « يسعى العلماء في نشر العلم ، ويجتهد المستبد في إطفاء نوره ، والطرفان يتجاذبان العوام .. ومن هم العوام ؟
« هم أولئك الذين إذا جهلوا خافوا ، وإذا خافوا استسلموا ، وهم الذين متى علموا قالوا ، ومتى قالوا فعلوا »
وقال الأستاذ خالد وهو يقلب صفحات كتاب (طبائع الاستبداد) .
ـ وكان الكواكبي ـ يا أبنائي ـ عدوا للجمود ، وداعيا إلى التطور والتجديد في كل شيء ، اسمعوه يقول : إن الخور (اي الضعف) علة معدية تسري من الشيوخ الى الشباب ومن الطبقة العليا الى العامة وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة والخمول وسقوط الهمة والدناءة والاستسلام ، فيتركون أهل النشأة الجديدة (أي الشباب) وشأنهم » .

وهو ـ بهذا يا ابنائي ـ يدعو الأدباء والمفكرين إلى الثورة على هؤلاء الجامدين .

وسأل تلميذ آخر الأستاذ قائلا :

ـ وما اسم الكتاب الثاني الذي ألّفه الكواكبي في مصر ياأستاذ ؟

وأجاب الأستاذ على تساؤل التلميذ قائلا :

ـ اسم الكتاب الثاني (أم القرى) وقد بحث في هذا الكتاب العديد من المشكلات الشعبية وأدواء الشعوب « جمع داء » ، وترك التركيز على أنظمة الحكم واستبداد الحكام الى كتابه الأول الذي حدثتكم عنه وقد نقد في هذا الكتاب الشعوب الاسلامية .

وأراد أن تفهم الشعوب حقوقها والواجبات المترتبة عليها ، بل اتبع فيه اسلوب المحاورات فتخيل جمعية سرية عقدت مؤتمرا لها في (أم القرى) أي في مكة المكرمة .

وضم هذا المؤتمر ثلاثة وعشرين مفكرا يمثلون مختلف الدول والأقليات الاسلامية في العالم ، وناقش المؤتمرون داء الأمة الاسلامية وسبب تخلفها فوجدوا أن (الركود) هو الداء وهو سبب التخلف والضياع ، ثم بحثوا علاج هذا الداء ، فوجدوه في تسليم قيادة الأمة الاسلامية الى العرب ..يعني يا أبنائي ـ أن هذا الكتاب هو عبارة عن محاضر الجلسات لذلك المؤتمر .

وهذا الكتاب ـ يا أبنائي ـ يدل على كبر عقل الكواكبي ، وعلى قوة تفكيره ، وسعة اطلاعه ، وصدق غيرته على العالم الاسلامي ، وثقته بالعرب وبقيادتهم التاريخية ، وبوجوب إسناد قيادة الأمة الاسلامية إليهم ، لتنهض الأمة من كبوتها وتخلفها ..

وتابع الأستاذ خالد يقول في نهاية الدرس :

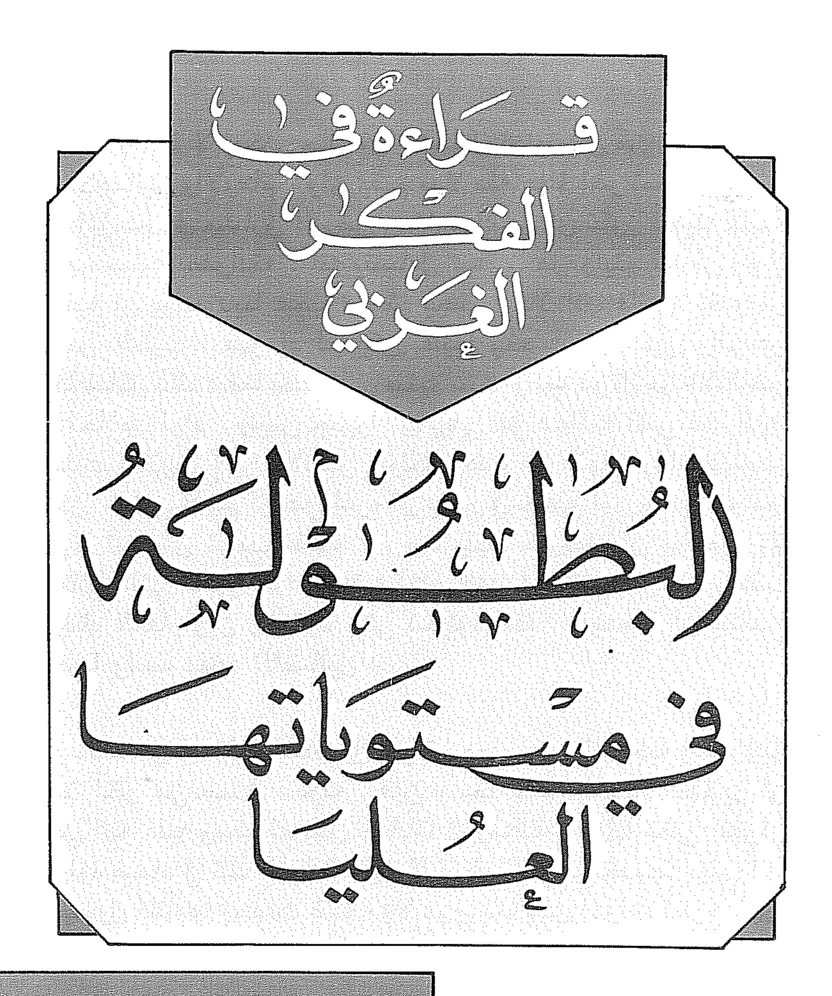
ـ هذا النشاط الذهني ، وهذه الآراء الجريئة ـ يا أبنائي ـ لم ترق للحكام الأتراك ، فأرسلوا إليه من يدس له السم في كأس شاي كان يشربه مع ثلة من زملائه المفكرين والسياسيين في إحدى المقاهي في القاهرة وقد قال لصديقه التاجر الحلبي الذي كان يشرب معه الشاي : لقد سموني يا عبد القادر ، ثم فارق الحياة بعد لحظات في بيته الذي كان يسكنه في القاهرة ، وشيع جثمانه في اليوم التالي ودفن في القاهرة سنة ١٩٠٢ وكتبوا على قبره : هذا قبر الشهيد عبد الرحمن الكواكبي ..

وتابع الأستاذ خالد كلامه قائلا :

ـ وفيما كان جثمانه يحمل إلى قبره في القاهرة ، كانت الشرطة تداهم بيته في حلب ، وقد فتشته تفتيشا دقيقا ، واخذوا أوراقه وكتبه المخطوطة واعدموها ..

واتخذ الأستاذ خالد سمتا مهيبا وقال :

ـ لمثل هذا فليعمل العاملون يا تلاميذي النجباء .



للدكتور/ عماد الدين خليل

كلنا نعرف الكاتب الانكليزي الشهير توماس كارلايل (١٧٩٥ - ١٨٨١م) من خلال كتابه المعروف (الابطال) ، لكن الكثيرين منا لا يكادون يعرفون شيئا عما قاله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفصل القيّم الذي خصصه له .

وليس هذا المقال بطبيعة الحال مجالا لمتابعة وتحليل مفهوم كارلايل للبطولة ولموقع رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، إنما نريد أن نؤشر على بعض تقويمات الرجل للنبي الذي يمثل البطولة الانسانية في مستوياتها العليا .

المحور الاول الذي تدور حوله معطيات كارلايل هو صدق محمد عليه

الصلاة والسلام ، اذ لا يمكن بحال من الأحوال أن يتمكن من زعزعة عالم بكامله من الأضاليل والأوهام ، وان يقيم بدلا منه عالما آخر تماما ، ينتمي إليه ملايين المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها دون ان تكون دعوته قائمة على الصدق ، مبنية بمفرادته . انه يتساءل : « ... هل رأيتم قط أن رجلا كاذبا يستطيع ان يوجد دينا عجبا ؟ » ثم يجيب : كلا !! « فإنه لا يقدر ان يبني بيتا من الطوب ! فهو إذ لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك ، فما ذلك الذي يبنيه ببيت وانما هو تل من الانقاض وكثيب من أخلاط المواد ، وليس جديرا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنا يسكنه [مئات الملايين] من الأنفس ، ولكنه جدير أن تنهار اركانه فينهدم فكأنه لم يكن . واني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع اموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تجيب طلبته » . وما يلبث كارلايل ان يخلص الى النتيجة التالية التي تأتي أمرا منطقيا إزاء المقدمات التي طرحها « كذب مايذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيلوه حقا ... ومحنة أن ينخدع الناس شعوبا وأمما بهذه الاضاليل » .

ثم هو يستمد من استقراء تفاصيل حياة محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة دليلا آخر على صدق دعوته ، فإن « مما يبطل دعوى القائلين أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن صادقا في رسالته ... أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة [مع خديجة رضي الله عنها] لم يحاول اثناءها إحداث ضجة ولا دوي مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة .

ولم يك الا بعد ان ذهب الشباب وأقبل المشيب أن فاربصدره ذلك البركان الذي كان هاجعا وثار يريد امرا جليلا وشأنا عظيما » .

كما أنه يستمد من خصائصه الاخلاقية والنفسية والذهنية ، ومن صدق العقيدة التي حمل أمانتها ، وطرائق تلقيها ، وتساوقها مع أسرار الوجود ، وهما امران يشكلان المحورين الآخرين اللذين سنتحدث عنهما بعد قليل ، يستمد من هذا وذاك دلائل وبراهين أخرى على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ، ابن القفار والفلوات ،

العظيم النفس ، المملوء رحمة وخيرا وحنانا وبرا وحكمة وحجى ونهى ، افكار غير الطمع الدنيوي ، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه . وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم الا ان يكونوا مخلصين جادين ، فبينما نرى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ويسيرون طبق اعتبارات باطلة ، اذ نرى محمدا « صلى الله عليه وسلم » لم يرض أن يلتفع

بالاكاذيب والأباطيل . لقد كان منفردا بنفسه العظيمة وبحقائق الأمور والكائنات ، لقد كان سر الوجود يسطع لعينيه بأهواله ومخاوفه ومباهره ، ولم يك هنالك من الاباطيل ما يحجب ذلك عنه ، فكأنه لسان حال ذلك السر الهائل يناجيه : ها أنذا . فمثل هذا الاخلاص لا يخلو من معنى الهي مقدس ، وما كلمة مثل هذا الرجل الا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة ، فإذا تكلم فكل الآذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية ، وكل كلام ما عدا ذلك هباء وكل جدل جفاء » .

وعلى ضوء هذا كله يتساءل مرة اخرى « أيزعم الكاذبون انه الطمع وحب الدنيا هو الذي أقام محمدا (صلى الله عليه وسلم) وأثاره ؟ » ويجيب بمفردات تحمل بنفسها احتقاره البالغ لهذا الادعاء « لنضرب صفحا عن مذهب الجائرين القائل ان محمدا كاذب [وحاشاه] ونعد موافقتهم عارا وسبة وسخافة وحمقا ، فلنر بأنفسنا عنه ولنترفع » .

وما يلبث ان يخلص الى القول الفصل الذي لا تكتنفه شبهة ولا تشوبه شائبة « ما كان محمد (صلى الله عليه وسلم) بعابث قط ، ولا شاب شيئا من قوله شائبة لعب ولهو ، بل كان الأمر عنده أمر خسران وفلاح ومسألة فناء وبقاء . ولم يك منه ازاءها إلا الاخلاص الشديد والجد المر . فأما التلاعب بالاقوال ، والقضايا المنطقية ، والعبث بالحقائق ، فما كان من شأنه قط » .

إن الأمر أكبر بكثير وأخطر بكثير من أن يتجاوز دائرة الصدق المطلق ... انه موقف يتعلق بمصير البشرية كلها ، امر خسرانها وفلاحها ، ومسألة فنائها وبقائها ، وهو من ثم يحمل جديته البالغة التي تتهافت ازاءها وتتضاءل عند سفوحها الدنيا ادعاءات الادعياء وهزل الهازلين .

وكارلايل يعرف جيدا أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لم يتلق درسا على أحد أو يأخذ تعليما من أستاذ ... إن فطرته النقية كالبللور ... صدقه الباطني ورغبته المتأصلة في البحث عن الحق ، وتجاوز مواقع الباطل ومظان الاوهام والاضاليل ... ذهنه المتوقد كالنار والذي لم يكف خفقانه لحظة وهو يبحث عن اصل الوجود وسبب الأسباب ومنشىء السنن والنواميس ... ان هذا كله ، متدفقا من سريرة لا تعرف ميلا ولا التواء ، هو الذي جعل محمد بن عبدالله يقلب ابصاره في الكون والعالم والظواهر والاشياء آناء الليل واطراف النهار من أجل أن يرسو على شاطىء يرتاح له عقله وتطمئن إليه نفسه ويسعد وجدانه .

إنها بلا ريب ارادة الله أن ينفخ في هذا الرجل العظيم بذرة القلق تهيئة وتمهيدا ليوم الفصل ، يوم اللقاء الكبير الحاسم بين وحي الله ورسوله الأمين .

ان كارلايل يقف عند هذه المسألة ، يقلبها على وجوهها ، ويرسم من تفاصيلها ومنحنياتها العجيبة الفذة ملمحا آخر من ملامح بطولة الرجل ـ النبي الذي قدر له ان ينجح في امتحان البحث عن الحق وان يبعث الى العالم كي يقوده الى الصراط .

وهو بهذا يعمق خطوط الملمح الأول ويضيف عليه « إن محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يتلق دروسا على استاذ أبدا ، وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك في بلاد العرب ، ويظهر لي ان الحقيقة هي ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يكن يعرف الخط والقراءة ، وكل ما تعلَّم هو عيشة الصحراء واحوالها وكل ما وفق الى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهده بعينيه ويتلقى بفؤاده من هذا الكون العديم النهاية ... انه لم يعرف من العالم ولامن علومه الا ما تيسر له ان يبصره بنفسه أو يصل الى سمعه في ظلمات صحراء العرب ... ولم يضره ... أنه لم يعرف علوم العالم ، لا قديمها ولاحديثها ، لأنه كان بنفسه غنيا عن كل ذلك .

ولم يقتبس محمد (صلى الله عليه وسلم) من نور اي انسان آخر ، ولم يغترف من مناهل غيره ولم يك في جميع أشباهه من الانبياء والعظماء ـ أولئك الذين اشبههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور ـ من كان بين محمد وبينه ادنى صلة . وإنما نشأ وعاش وحده في أحشاء الصحراء ... بين الطبيعة وبين افكاره » .

انها القدرة الذاتية التي منحه الله إياها ، الاستغناء المطلق عن اي مخلوق والتلقي المطلق عن الله وحده ... فأية أمانة هذه التي ناءت بها السماوات والارض واختير لها الرجل ؟ وأية بطولة يمكن ان تسامت هذه البطولة أو تبلغ خطواتها الاولى ؟ « لقد كان (صلى الله عليه وسلم) منفردا بنفسه العظيمة ، وبحقائق الامور والكائنات ، لقد كان سر الوجود يسطع لعينيه باهواله ومخاوفه ومباهرة » .

ويواصل كارلايل رحلته مع الرجل ـ النبي الذي كان يجابه وحيدا اغاميض الكون والوجود ببطولة نادرة فيقذف هذه الاغاميض بألف سؤال عله يحظى بالجواب الموعود « وما زال محمد (صلى الله عليه وسلم) منذ

ايام رحلاته وأسفاره يجول بخاطره آلاف من الافكار : ماذا أنا ؟ وماهي الحياة ؟ وما هو الموت ؟ وماذا اعتقد ؟ وماذا افعل ؟ وهذا ما ينبغي لكل انسان أن يسأل عنه نفسه . فقد احس ذلك الرجل القفري ان هذه كبرى المسائل وأهم الامور وكل شيء عديم الأهمية في جانبها . انه في واد (والناس) في واد يعمهون في ضلالهم ، وهو ماثل بين يدي الطبيعة،قد سطعت لعينيه الحقيقة الهائلة ، فإما ان يجيبها والا فقد حبط سعيه وكان من الخاسرين .. » .

ومن وراء كل المظاهر الكاذبة ، من وراء كل الأضاليل والمذاهب والفلسفات المخادعة ـ من وراء ضباب الزيف وعتمة الأوهام التي غطت على العالم من اقصاه إلى اقصاه ، قدر محمد صلى الله عليه وسلم ان ينفذ برؤيته الى الحق ... لقد كان ينظر ، كما يقول كارلايل « من وراء اصنام العرب الكاذبة ، ومن وراء مذاهب اليونان واليهود ورواياتهم وبراهينهم ومزاعمهم وقضاياهم ... بقلبه البصير الصادق وعينه المتوقدة الجلية الى لباب الامر وصميمه ، وقال في نفسه : الوثنية باطل ، وهذه الاصنام لا تضر ولا تنفع ، وهي منكر وكفر ، انما الحق أن لا اله الا الله وحده لا شريك له » .

تلك كانت نهاية مرحلة وبدء مرحلة اخرى ... لقد اريد للرجل الذي ظل يبحث عن الحق عشرين سنة ان يبعث الى العالم كله لكي يقوده الى الصراط ... وكان الامر في كلتا المرحلتين يتطلب بطولة من نوع فريد ... ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم جديرا بهذه البطولة ، كفئا لها ..

حتى اذا ما بلغنا خصائص الرسول الخلقية عليه الصلاة والسلام ، لكي نرى ماذا يقول كارلايل وهو يعاينها ويتملاها ، فإننا سنلتقي بخط آخر من خطوط هذه الشخصية المتفردة ... خط يتضمن هو الآخر قيم البطولة في مستوياتها العليا التي لم يكن احد اقدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم على التخلق بها .

فمنذ البداية « لوحظ على محمد « صلى الله عليه وسلم » انه كان شابا مفكرا ، وقد سماه رفقاؤه الامين ـ رجل الصدق والوفاء ـ الصدق في مقاله واقواله وافكاره . وقد لاحظوا انه ما من كلمة تخرج من فيه الا وفيها حكمة بليغة . واني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب للكلام فإذا نطق فما شئت من لب وفضل واخلاص وحكمة ، لا يتناول غرضا فيتركه إلا وقد أنار شبهته وكشف ظلمته ... وقد رأيناه طول حياته رجلا راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهم كريما برا رؤوفا تقيا فاضلا حرا ، رجلا شديد

الجد مخلصا ، وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة ، جم البشر والطلاقة ، حميد العشرة ، حلو الإيناس ، بل ربما مازح وداعب ، وكان على العموم تضيىء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق ... وكان ذكي اللب ، شهم الفؤاد عظيما بفطرته ، لم تثقفه مدرسة ولا هذبه معلم ، وهو غني عن ذلك ... فأدى عمله في الحياة وحده في اعماق الصحراء » .

ان بعضا من هذه الخصائص قد تجتمع في شخص فيكون عظيما ، فكيف بها جميعا ؟ هذا إلى ان هذه المجموعة الكبيرة المتنوعة من القيم الخلقية والتي قد يذهب بعضها يمينا بينما يذهب بعضها الآخر شمالا ، يصعب ان تجتمع وتتلاءم في شخصية واحدة ، بل إننا لنجد الكثير من الأبطال ، عبر التاريخ ، يتألقون في جانب وينطفئون في جانب آخر، بل قد يذهب بهم التناقض الى ماهو اركس من الانطفاء ... انه الطغيان والتجبر والشذوذ والاعجاب بالذات ، والانحراف ـ احيانا ـ صوب انفصام الشخصية وربما الجنون ... ونحن نسمع كثيرا بهذا التعبير المحزن الذي جر على الشعوب والجماعات المآسي والويلات : جنون العظمة ..

اما هنا ، ازاء شخصية رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام ، فإننا نجد شيئا عجبا ... تناغما بين حشود القيم والخصائص لم تتهيأ لانسان من قبل ومن بعد ، ولم يكن ذلك الامر العجيب فلتة عابرة او صدفة تغرم بالاستثناءات ولكنها إرادة الله سبحانه شاءت ان يتحقق هذا الوفاق العظيم للرجل الذي سيحمل الرسالة الاخيرة ، ويغير العالم ، وتدين لطاعته ومحبته وإجلاله مئات الملايين من المؤمنين في مشارق الارض ومغاربها .

من أجل ذلك يعلن كارلايل الذي تبهره هذه الشخصية « إني لأحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع . ولقد كان ابن القفار هذا رجلا مستقل الرأي لا يعول الا على نفسه ولا يدعي ما ليس فيه . ولم يك متكبرا ، ولكنه لم يكن ذليلا فهو قائم في ثوبه المرقع كما اوجده الله وكما أراد ، يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم ، يرشدهم الى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة ، وكان يعرف لنفسه قدرها . وكان رجلا ماضي العزم لا يؤخر عمل اليوم إلى غد .. » .

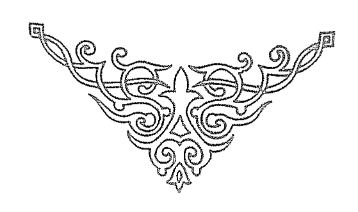
ويمضي كارلايل يستعرض جملة اخرى من خصائص رسول الله الاخلاقية ومن القيم التي تشربت بها نفسه فاستحالت امرا واقعا ، وحياة منظورة ، وتجربة معاشة ، وليس مجرد مثل معلقة في السماء تدعى ولا تجد طريقها للتنفيذ فيكون الازدواج وتكون الثنائية التي عرفها التاريخ عن كثير من زعمائه وابطاله . اما ها هنا فإنه التوحد الذي لا يعرف كسرا ، والالتئام الذي لا يحتمل شرخا ، ولنستمع الى كارلايل وهو يقول « ما كان محمد

(صلى الله عليه وسلم) أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا ، وشد مانجور ونخطىء اذا حسبناه رجلا شهويا لا هم له الا قضاء مآربه من الملاذ ، كلا ! فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أيا كانت . لقد كان زاهدا متقشفا في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر اموره وأحواله ، وكان طعامه عادة الخبز والماء ، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار ... وكان يصلح ويرفو ثوبه بيده ، فهل بعد ذلك من مكرمة ومفخرة ؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد في الله ، قائم النهار ساهر الليل ، دائب في نشر دين الله ، غير طامح الى ما يطمح اليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان ، غير متطلع إلى ذكر أو شهرة كيفما كانت . رجل عظيم ... وإلا فما كان ملاقيا من أولئك العرب الغلاظ توقيرا واحتراما واكبارا واعظاما ، وما كان يمكنه ان يقودهم ويعاشرهم معظم اوقاته ، ثلاثا وعشرين حجة ، وهم ملتفون به ، يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله . لقد كان في هؤلاء العرب جفاء وغلظة ، وكانوا وعري المقاد صعاب الشكيمة ، فمن قدر على رياضتهم وتذليل جانبهم حتى رضخوا له واستقادوا فذلكم بطل كبير ، ولولا ما ابصروا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا له ولا اذعنوا ، وكيف وقد كانوا اطوع له من بنانه ؟ وظني انه لو كان اتيح لهم بدل محمد (صلى الله عليه وسلم) قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه لما كان مصيبا من طاعتهم مقدار ما ناله محمد (صلى الله عليه وسلم) في ثوبه المرقع بيده . فكذلك تكون العظمة وهكذا تكون الابطال ! » .

وما أروع أن نختتم مقالنا هذا بهذه الصورة (الانسانية) المؤثرة التي تهز وجدان كارلايل فيعلن اخوة الرسول صلى الله عليه وسلم للبشرية جمعاء !

« لما استشهد مولاه زيد بن حارثة في غزوة مؤته (٨ هـ) قال محمد (صلى الله عليه وسلم) لقد جاهد زيد في الله حق جهاده ، ولقد لقي الله اليوم فلا بأس عليه . ولكن ابنة زيد وجدته بعد ذلك يبكي ! وجدت الرجل الكهل الذي دب في رأسه المشيب يذوب قلبه دمعا ! فقالت : (ماذا ارى ؟) قال : (صديق يبكي صديقه !)

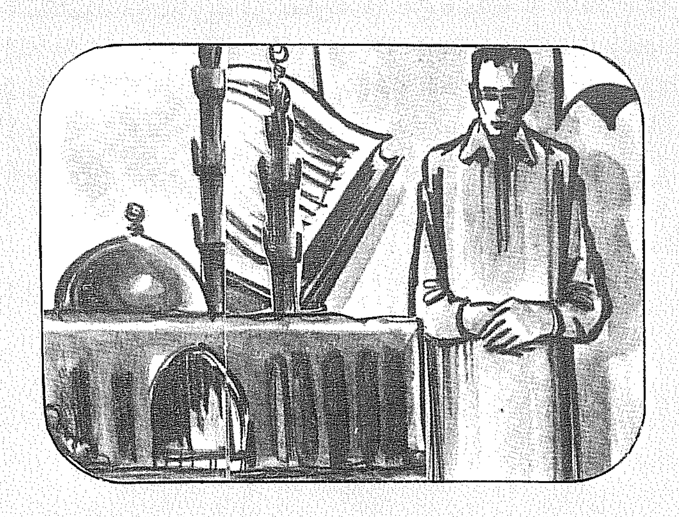
« مثل هذه الاقوال وهذه الافعال ترينا في محمد (صلى الله عليه وسلم) أخا الانسانية الرحيم ، اخانا جميعا الرؤوف الشفيق ، وابن امنا الاولى وابينا الأول » .



وضع اليدين في الصلاة

القارىء على السيد وافي من بار الحمام مركز بسيون غربية يسأل عن حكم الاختلاف في وضع اليدين بالنسبة للمصلى وما الحكمة في ذلك ؟

الامور التعبدية علينا أن نلتزم بها ما دامت قد وردت في صفة صلاة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، فنحن مأمورون بالاقتداء به فيها ، ولو نظرنا في اعمال الحج نجد فيها امورا تعبدية قد تخفى علينا الحكمة في فعلها كتقبيل الحجر الاسود مثلا ، ولذا نجد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول وهو يقبل الحجر الاسود ، « لولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك لأني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع » ومع وجوب الاقتداء والتسليم تلمس العلماء بعض الحكم من وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى في الصلاة ، وقالوا لعل الحكمة من هذه الهيئة ضم أطراف المصلى اليه لئلا يكون لأطرافه حرية الحركة في الصلاة ، والشرع أمر بعدم



الاكثار من الحركة وعدم الالتفات في الصلاة ، وهذا الوضع يساعد المصلى على الانتباه ومن حكمة ذلك ايضا توفر الخضوع : فكما أن المطلوب في الصلاة خضوع القلب وخشوعه فالمطلوب كذلك خضوع الجوارح ، وقد ورد في السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اسكنوا في الصلاة » صحيح مسلم .

ومن حكمة هذه الهيئة ايضا تنبيه النفس الى العبادة وذكر الله كلما غفلت عن ذلك لأن من طبيعة الانسان الحركة فاذا غفل في صلاته واراد أن يتحرك يذكره هذا الوضع بأنه بين يدي الله تعالى وبهذه المناسبة لا تجوز اثارة خلاف حول كيفية هذه الهيئة ولا ينبغي تشكيك الناس في أمر حدد هيئته الائمة الاعلام ، او اثارة جدل حول كيفية وضع اليدين في الصلاة ، هذه الهيئة وإن اختلفت صورها ـ على الصدر أو على القلب أو تحت السرة ، كلها تؤدى الى معنى واحد ، هو الخشوع والخضوع بين يدى الله عز وجل ، ولا يكون مخطئا من قلد إماما له قدم في العلم والورع ودقة الفهم من الكتاب والسنة . وجزى الله فقهاءنا وعلماءنا احسن الجزاء .

أنية الذهب والفضة

جاء الى ادارة المجلة اخ مؤمن وقال اني احد الورثة لاختى وكانت تعمل في أميركا ومن بين التركة وجدنا اواني مطلية بالذهب واخرى مصنوعة من سن الفيل . هل يجوز لنا استعمالها ام لا ؟ ثم طلب نشر الاجابة على صفحات المجلة ليقرأها ويقتنع بها بقية الورثة .

من المقرر شرعا تحريم اتخاذ اوانى الذهب والفضة في البيت المسلم او استعمالها ، وأن الذهب يباح التحلى به للنساء فقط وأن انية الذهب والفضة محرمة على الرجال والنساء معا، وقد تهدد النبي صلى الله عليه وسلم من يفعل ذلك بالوعيد الشديد ، روى مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضى الله عنها : « إن الذي يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم » وروى البخارى عن حذيفة قال : «نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه وقال هو لهم (اي الكفار) في الدنيا ولنا في الاخرة » وما حرم استعماله حرم اتخاذه تحفة وزينة هذا الوعيد يشمل النساء والرجال على السواء لأن علة التحريم هو السرف والخيلاء وكسر قلوب الفقراء ، ولأن الذهب والفضة هما الرصيد العالمي للنقود التي هي معيار لقيمة الأموال فلا تعطل في شكل الاواني وادوات الزينة .



أما الانية المموهة بالذهب والفضة فقد ذهب جماعة من الفقهاء الى ان الانية المطلية بماء الذهب او الفضة وما تحته نحاس او حديد او حجر او زجاج مثلا ـ هذه الانية يجوز استعمالها اذا كان التمويه ، يعني الطلاء لا يمكن تخليصه من الاناء ، فيجوز الاكل بها والشرب فيها ، وذلك باجماع علماء الاحناف . كما حكى الكاساني واجاز الشافعية استعمال المموه اذا كان التمويه قليلا أما الاواني النفيسة من غير الذهب والفضة فيجوز استعمالها ولا تقاس على الذهب والفضة لانها ليست اثمانا كالذهب والفضة ، والاواني المتخذة من سن الفيل فبعض الفقهاء يرى جواز استعمال سن الفيل ان ذكى « اي ذبح » والا فلا يجوز لأنه لا يؤكل لحمه ، والبعض يرى طهارة سن الفيل مطلقا واستدل هذا البعض بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمتشط بمشط من عاج وهو عظم الفيل فلو لم يكن طاهرا ما امتشط به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على اتخاذ الانية من عظم الفيل ، وحجتهم ان العظم والسن والقرن كالشعر والصوف فاقد الحس والالم فلا يحرم ، ولقول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام : (.. إنما حرم من الميتة لحمها) فاللحم هو المحرم وما عدا اللحم باق على الحل ، الا ان الفقهاء اجمعوا على حرمة استعمال عظم الخنزير لحرمة عينه وعلى حرمة عظم الانسان ولو كان كافرا لكرامته ، وبناء على ما تقدم يجب على الاخ السائل وغيره من الورثة الا يتعاد عما يجدونه في التركة من انية الذهب او الفضة ولا بأس باستعمال المطلى بهما إن تعسر تخليص الطلاء ، ولا بأس في استعمال المتخذ من سن الفيل على رأى فريق من العلماء .

ردود قصيرة

رسالة من قارىء بالمغرب لم يذكر اسمه أو عنوانه .
حصولك على رخصة القيادة عن طريق الرشوة حرام ، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش ـ يعني الوسيط وما كان لك ان تنعجل في الحصول على اجازة القيادة وعليك ان تأخذها باستحقاق وكفاءة صيانة لنفسك من الهلاك وحماية للارواح البريئة التي تركب معك ، اما ماتأخذه بعد ذلك من أجر مقابل عمل فهو حقك .

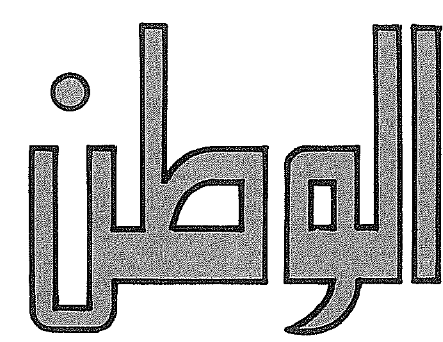
القارئة نعيمة ع . ق شارع المضيق ـ الحسيمة المغرب .
ما دام الله قد هداك الى الحجاب اجمعي الصور التي كانت قبل ذلك من صديقاتك وتخلصي منها حتى لا يرى الاجانب صورا لك وانت سافرة .

القارىء عادل محمد القهوجي بنك القاهرة فرع المنصورة . ادارة المجلة تشكر لك وللاخوة القراء ما جاء في رسالتكم من تقدير وثناء ونجيبك على اسئلتك بالآتي
أ ـ يصح الوضوء في دورة المياه التي يوجد فيها حوض للوضوء مادام المتوضىء يبتعد عن النجاسة في مكان الوضوء
ب . عملك في البنك لا يبيح لك تأخير الصلاة عن وقتها ولك ان تصلى في صالة العملاء بشرط طهارة المكان .
جـ ـ يرى الفقهاء وجوب الترتيب وعلى هذا الراى لا يجوز لك ان تصلى العصر قبل الظهر الا في حالة النسيان او زيادة الفوائت عن خمس او ضيق وقت المكتوبة

القارىء على محسن ـ كرتير ـ عدن المحافظة الاولى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .
للزوجة الثمن وللبنتين الثلثان والباقي للأخت لأنها صارت مع البنات عصبة ، ولاميراث لأبناء العم اذا كانت الاخت شقيقة بالنسبة للمتوفي ، اما اذا كانت اخت المتوفى من أمه فلا ترث لحجبها بالبنتين ويكون الباقي حينئذ بعد فرض لزوجة والبنتين الى ابناء العم الذكور دون الاناث .







الوطن

○ عام جديد من أعوام الاستقلال ... وحرية الارادة ، وشمعة اخرى من شموع الشموخ والعزة توقد في عيد استقلال الكويت السابع والعشرين .

○ ومع الاحتفال بعيد الاستقلال ننظر من وراء الأفق إلى سيرة رجال شيدوا صرح الوطن ، وأقاموا دولة للعرب والمسلمين تنتظم في سلك الدول العربية الشقيقة لتكون درة الخليج .

○ أشاد البنيان ، وأرسى دعائمه ، وثبت أركانه المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح . ثم جاء الاستقلال على يد المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح ، وتتواصل المسيرة ، ويتفاعل القديم والحديث ، وتبرز للوجود نهضة شاملة في شتى الميادين ، كان من أبرزها جامعة الكويت ، والمستشفيات الحديثة ، والطرق والمنشآت العصرية ، في عهد المرحوم صباح السالم الصباح .

وواجبنا تجاهه



○ ويحمل الراية ، ويقود السفينة إلى بر الأمان ... الربان الماهر سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح .

الذي في عهده الميمون تتمتع الكويت بعلاقات دولية واسعة ، وسمعة عالمية طيبة ، ومكانة سامية بين أشقائها العرب والمسلمين ، والدول الصديقة ، ودول العالم أجمع .

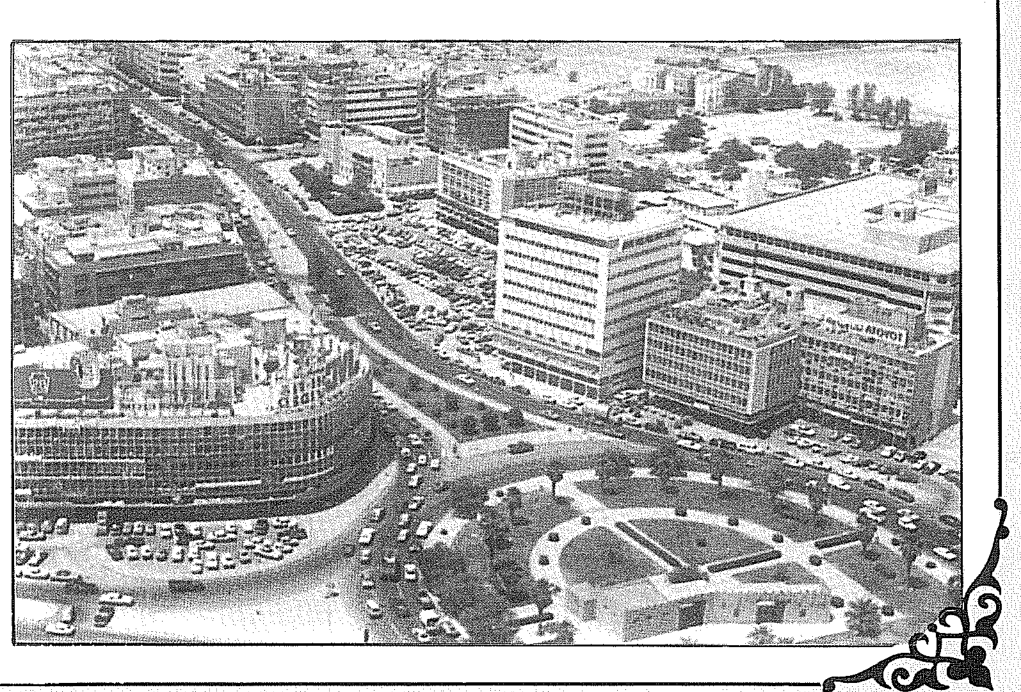
○ وعلى أرض الكويت الطيبة عقد مؤتمر القمة الاسلامي برئاسة سمو الأمير في ظروف صعبة مرت بها أمتنا الاسلامية ، وما تزال تمر بها إلى اليوم .

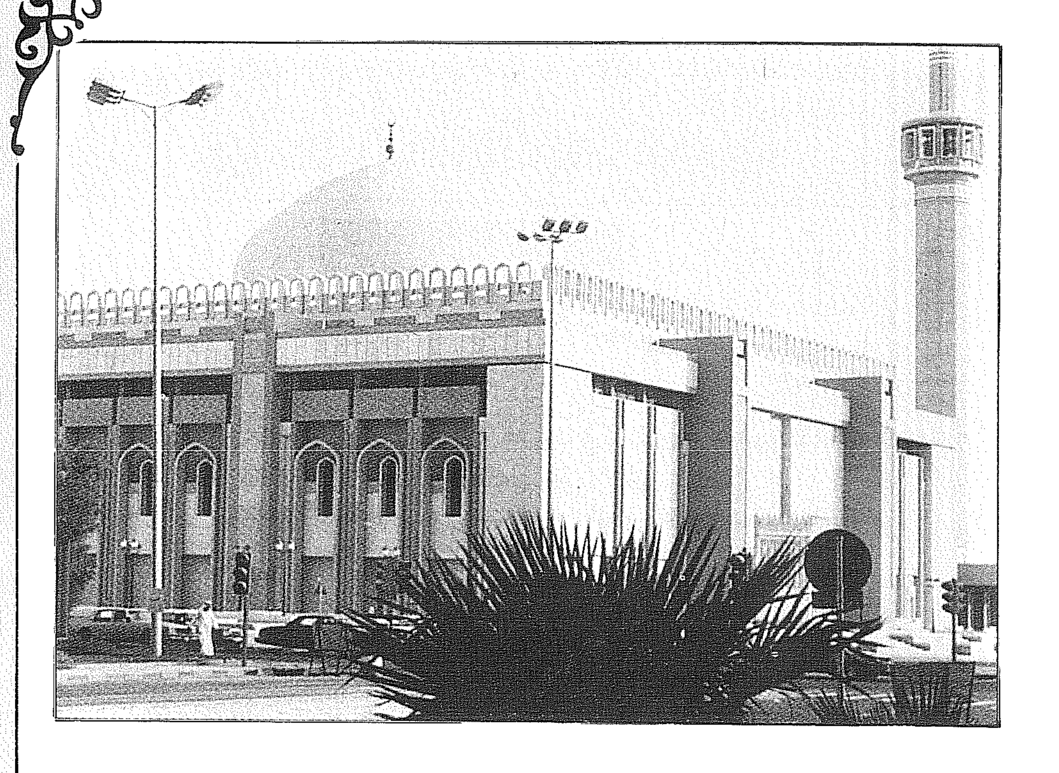
○ ورغم العواصف الهوج ، وتيارات الموج الحاقد ، ورغم ما يكيده الأعداء لوطن الأمن والأمان ، فإن حكمة الأمير وسمو ولي العهد كفيلة بإبطال مكر الماكرين ، ورد كيد الأعداء إلى نحورهم .

○ إن مواقف الكويت الانسانية الرائعة تجاه أشقائها في العروبة والاسلام ، واستضافتها الكريمة لابناء العروبة الذين يعملون على أرضها ، ليمثلوا مع إخوانهم الكويتيين الجيل العربي الواحد ، الواعد بالخير العميم .

إن مواقف الكويت تلك لا تنسى ولا تنكر ، بل هي شاهد على عمق النخوة والشهامة لدى الكويتيين ، وإن من أبرز هذه المواقف مساندة الكويت للاخوة الفلسطينيين في انتفاضتهم البطولية في وجه أشرس عدو عرفه التاريخ .

○ إن وطنا هذا شأنه جدير بأن نصونه بكل ما نملك ، وأن نكون جنودا له في كل ميدان ، نحافظ عليه في الداخل، وندفع عنه من الخارج ، وأن نكون جميعا يدا واحدة ، وقلبا واحدا ، وصفا واحدا ، نرفع على القواعد التي أرساها السابقون ، ونلتف حول القائد ، وولي عهده ، لتكون البسمة دائما على





الشفاه ، وليبقى الأمل مزهرا في النفوس بغد أفضل . ومستقبل أكثر إشراقا .

○ وفي ظلال الايمان ، وتحت راية القرآن ، نصنع ما تفخر به الأجيال القادمة .

و« الوعي الاسلامي » تهنىء سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح ، وسمو ولي عهده الأمين الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ، والشعب الكويتي ، والعربي ، والاسلامي بعيد استقلال الكويت السابع والعشرين .

ونقول كما قال الامير : حفظ الله الكويت وشعبها من كل مكروه .



التحرير

من اخبار العالم الاسلامي

الانتفاضة

الكويت :
دعما للانتفاضة الفلسطينية الرابعة في وجه أعداء الحياة ، المغتصبين ، تبرع العاملون في دولة الكويت في شتى مواقعهم الوظيفية حكومية وغير حكومية براتب يوم كامل على الأقل .
وجاء هذا الموقف استجابة لما رآه مجلس الوزراء من مساندة كفاح وصمود الشعب الفلسطيني البطل .

قالوا في الانتفاضة

الديلي تلغراف : الانتفاضة احدثت تحولا نوعيا في الأراضي المحتلة .
نشرت جريدة القبس في عددها الصادر يوم ٨٨/٢/٧ في صفحة قضايا هذا العالم »
مقالا مترجما نقلا عن الديلي تلغراف .. نقتطف منه ما يلي :

لاريب في ان عشرة اسابيع من احداث العنف ، ورشق الاسرائيليين بالحجارة والقنابل الحارقة والاضرابات من جانب فلسطينيي الضفة الغربية وغزة قد جعلت العديد من الاسرائيليين يشعرون بصدمة بالغة في الوقت الذي يقتربون فيه من الذكرى الاربعين لنشوء « اسرائيل » من العدم (في مايو المقبل) والآن يتساءل العديدون ما اذا كانت اسرائيل ستعيش اربعين سنة اخرى بشكلها الحالي .
وقد احس السياسيون ورجال الاعلام والجيش والشرطة بالدهشة بسبب ضراوة احداث العنف التي تفجرت في ديسمبر الماضي وبسبب النمط الثابت والمنظم بشكل متزايد الذي اتسمت به هذه الاحداث وفي البداية جاءت مبادرة الحكومة التي عرضها رئيس الوزراء شامير ووزير الدفاع رابين من قبيل الصدفة ولكن الآن بدا زعماء من الحزبين السياسيين الرئيسيين في اسرائيل يقترحون حلولا طويلة المدى لاشد الازمات الداخلية التي شهدتها اسرائيل عبر تاريخها الحديث .
وفي معرض تقييم للاوضاع القائمة



ينقسم الزعماء والمفكرون اليهود والعرب بشكل لم يسبق له نظير . فبالنسبة للاسرائيليين فان الشعار الذي ينادون به يتلخص بالعودة الى الحالة الطبيعية في اشارة الى الحياة التي ظلت سائدة الى ما قبل ثلاثة اشهر مضت .

وقال قائد الجيش الاسرائيلي في الضفة الغربية الميجر جنرال امرام متزنا « مسؤولياتنا هي ضربهم واعتقالهم ثم تركهم يعيشون حياة طبيعية .

ومن ناحية أخرى فان الشعار السائد هو ان احداث العنف صارت تعرف باسم « انتفاضة » الشعب الفلسطيني الذي يجمع الآن على هدف قومي واحد وقد اعرب المحامي البارز في القدس الشرقية (جوناثان كتاب)عن وجهة النظر الفلسطينية بوضوح عندما قال « لقد شاهدنا شيئا مختلفا نوعيا عن اي شيء جرى خلال العشرين سنة الماضية وما يسميها الاسرائيليون بالحياة الطبيعية لا يمكن ان تعود ابدا .

والاختلاف النوعي يقاس بالتنظيم الذي اتسمت به المظاهرات وبالاضرابات التي انتشرت على نطاق واسع فالمدن التي ظلت تنعم بالهدوء طوال اسابيع مثل نابلس والخليل سرعان ما انفجرت بدون سابق انذار

ثم مضى المقال يقول :

وتعتبر طبيعة الزعامة الجديدة التي تقف وراء احداث العنف جوهرية وحاسمة بالنسبة للطريقة التي ستحل من خلالها الازمة الحالية .

وتسلط التعليقات الاسرائيلية الاضواء على ادوار منظمة التحرير الفلسطينية والمتشددين المسلمين واللجان السرية وهي لا تعرف على وجه اليقين اين تضع تركيزها ويقول (جوناثان كتاب) الزعامة الجديدة بلا وجه ولا اسم ولا عنوان فهي تمارس

نشاطاتها من خلال حركات كحركة اللجان النسائية القوية في غزة .

وقال (كتاب) عن العلاقة بمنظمة التحرير الفلسطينية انها ذات علاقة بها ولكنها ليست علاقة هرمية . بمعنى انها كلها منظمة التحرير الفلسطينية ولكن حركة الانتفاضة ليست بحاجة للاتصال هاتفيا بياسر عرفات في تونس بغية الحصول على اوامر فاعمال العنف تدار محليا بالكامل وبذلك فان ذلك يعطيهم الحق في انتقاد زعامة منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج -

وجرى التركيز مؤخرا على المتشددين المسلمين في غزة حيث قام التلفزيون بعرض صور لشيخ مسلم وهو يحض المسلمين على رشق الاسرائيليين بالحجارة مستخدما مكبرا للصوت وقد بثت وعرضت هذه اللقطات في جميع انحاء العالم .

الانتفاضة .. ودور المسجد

استمع ألوف المصلين في يوم جمعة الى خطبة موحدة القيت في المسجد الأقصى وفي مساجد الضفة الغربية وقطاع غزة تدعو الى مواصلة الجهاد ضد العدو الصهيوني حتي يتحقق النصر المبين بإذن الله وقد خاطب ائمة المساجد المصلين بقولهم « ايها المجاهدون ايها المرابطون يأأهل الثغور يا اهل الارض المباركة لقد اختاركم الله لأن تكونوا حماة الاقصى المبارك وها انتم تسطرون صفحة جديدة في جهادكم الطويل غير متكافئين مع عدوكم لا في العدد ولا في السلاح لكن سلاحه الخوف والذعر وسلاحكم سواعدكم القوية وحجارة ارضكم المباركة فكبروا وهللوا وقوموا قومة رجل واحد فالنصر آت باذن الله .

وجاء في الخطبة أن العدو يبحث عن طريق للخلاص من الورطة التي هو فيها ولن يستطيع فمن ضربت عليه الذلة والمسكنة وباء بغضب من الله لا يمكن ان يتحول الى شجاع وبطل ولقد خبرتم اليهود عن قرب كيف يرجفون امامكم والسلاح بايديهم ويفرون والدبابات تحميهم ويولون الادبار والحجارة ترميهم .

وصدق الله العظيم « لايقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

وشهدت ساحات الحرم القدسي الشريف مظاهرات حاشدة بعد صلاة الجمعة حيث تظاهر الشباب ورفعوا اعلام فلسطين فيما تظاهرت النساء ورددن اناشيد وطنية .



السعودية . في حفل دورة مجمع الفقه الاسلامي الدولي

خادم الحرمين : المجمع يهدف الى ابراز معالم الدين الاسلامي والقاء الضوء على تطورات عالمنا المعاصر

جدة ـ افتتح نائب امير منطقة مكة المكرمة الامير سعود بن عبد المحسن الدورة الرابعة لمجلس مجمع الفقه الاسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الاسلامي بمقر المجمع في جدة وقد نوه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية في كلمة القاها نيابة عنه الامير سعود بن عبد المحسن بجهود مجمع الفقه الاسلامي في ابراز معالم الدين الاسلامي الحنيف والقاء الضوء على ما استجد في عالمنا المعاصر من قضايا ومشكلات وقال ان عالم اليوم يواجه التقدم التكنولوجي الهائل والاختراعات العلمية المعقدة في شتى الوان الحياة .. مما يتمخض عنه بعض القضايا التي لم تواجه اسلافنا اعلام الفقه الاسلامي مما يجعل حتما علينا فتح باب الاجتهاد الاسلامي والذي لم يقفل في تاريخنا المضيء واضاف ان العالم الاسلامي يواجه كل يوم عددا ونوعا جديدا من التحديات الصليبية الحاقدة والشيوعية الملحدة والتي لا تألو جهدا متحدة او منفصلة في المساس من كرامة الاسلام وسماحته وغزو ابنائه في عقيدتهم واخلاقهم وسلوكياتهم . واهاب الملك فهد باعضاء المجمع وبكافة علماء العالم الاسلامي بان لا يدخروا وسعا في سبيل تحقيق الاهداف الاسلامية والانسانية العامة للمجمع واكد ان حكومة المملكة تؤكد وتناصر دوما وتعمل على ما فيه رفعة الاسلام وعزة المسلمين .

كلمة ولي عهد الاردن

وبعد ذلك تليت كلمة ولي عهد الاردن الامير حسن بن طلال التي وجهها الى الدورة الرابعة لمجمع الفقه الاسلامي والتي اعرب فيها عن سروره لمواصلة المجمع العلمي الدولي الاسلامي لمسيرته الخيرة بغية تحقيق الاهداف والغايات النبيلة التي انشىء من اجلها وقال ان رسالة هذا المجمع هي موضوع اهتمام ومحط انظار امتنا الاسلامية التي ترجو من علمائها وفقهائها الاجلاء مساعدتها على جمع كلمتها في الرأي والفكر خاصة في هذا الوقت الذي تجد امتنا مستهدفة من الطامعين في خيراتها وموقعها والذين يخططون لبقائها في فرقة وعزلة ويعملون ما امكن لاضعاف ايمانها وتمسكها بعقيدتها مستغلين نفوس الحاقدين والضعفاء والمندسين بين صفوفها ونوه بجهود الامين العام للمجمع التي لها اكثر الاثر في نجاح قراراته وتوصياته .

كلمة الطيب

بعد ذلك القى مستشار الامين

العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي احمد صالح الطيب كلمة الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي السيد شريف الدين بيرزادة اعرب فيها عن ترحيبه بوفود الدول الاسلامية المشاركة في هذه الدورة وقال ان هذه المؤسسة الاسلامية المهمة التي انعقد مؤتمرها التأسيسي بمكة المكرمة اصبحت اليوم ملتقى صفوة فقهاء هذه الامة ومثابة لعلمائها ومفكريها وحكمائها ودعا المسلمين لتوحيد الصف وجمع الطاقات للثبات امام كل خطر يهدد القيم الروحية وامام كل من يحاول طمس معالم الهوية والشخصية الاسلامية واشار الى ان الميادين التي يعمل فيها المجمع ميادين رحبة واسعة رحابة هذه الشريعة السماوية الخالدة .. ذلك ان اهمية المجمع الاسلامي تتجسد في كونه يتناول بصورة مباشرة او غير مباشرة حياة الفرد المسلم والاسرة المسلمة والمجتمع المسلم كما يتناول العلاقات بين المجتمعات المسلمة والمجتمعات الواقعة خارج دار الاسلام واوضح ان الدورة العلمية الفقهية الرابعة للمجمع ستناقش طائفة من الموضوعات العامة ذات الصلة المباشرة بحياة المسلمين في كل مكان ومنها وحدة الامة الاسلامية ومنها كذلك الحفاظ على الصحة العامة ووقاية مجتمعاتنا المسلمة من المخدرات وحرمة جسم الانسان وموضوعات اخرى تتناول شؤونا مالية واقتصادية مختلفة .

اللغة العربية في باكستان

اثنى سفير الكويت لدى باكستان قاسم عمر الياقوت على الجهود التي تبذلها الحكومة الباكستانية لتعزيز ونشر اللغة العربية .

وابلغ حلقة دراسة اقامها مركز باكستان الوطني استعداد الحكومة الكويتية تقديم كل المساعدات الممكنة لتعزيز هذه الجهود .

وحيا السفير الياقوت بشكل خاص الجهود التي يقوم بها العلماء الباكستانيون والمؤسسات الباكستانية في نشر اللغة العربية في الاراضي الباكستانية .

وقام بتنظيم هذه الحلقة الدراسية المجلس العربي الباكستاني .

وشدد سفير الجمهورية العربية اليمنية في اسلام اباد عبد المالك الطيب على اهمية اللغة العربية .

وقال في كلمته بان اللغة العربية مكنت المسلمين من تفهم القرآن الكريم والسنة .

وشدد على اهمية هذه اللغة في تعزيز روابط الاخوة بين الدول الاسلامية .

وقال رئيس دائرة اللغة العربية في جامعة العلامة اقبال البروفسور محمد حنيف ان الجامعة بدأت مقررات لدراسة اللغة العربية عن طريق المراسلة تشمل جميع انحاء باكستان والاشراف على برامج لتعليم اللغة العربية عن طريق التلفزيون والاذاعة

ودعا عضو البرلمان الباكستاني سيد واسى مظهر ندفي الى تبنى اللغة العربية كلغة الزامية ثانية في المؤسسات التعليمية الباكستانية .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



طبع في مطابع دار السياسة - الكويت